www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

وجاء الحق

سعيد أيوب

بسم الله الرحمن الرحيم

و جاء الحق

كاتب:

سعيد ايوب

نشرت فى الطباعة:

مركز الأبحاث العقائدية

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
و جاء الحق ----- ۶
اشارة ----- ۶
کلمة المرکز ----- ۶
الفصل الأول ----- ۶
الدعوة الخاتمة وأهل الکتاب ----- ۶
دعوة أهل الکتاب ----- ۷
أولا: الدعوة إلی التوحید الحق ----- ۷
ثانیا: الدعوة إلی اتباع قبلة الرسالة الخاتمة ----- ۸
ثالثا: اتباع إبراهیم علیه السلام ----- ۹
رابعا: البیان والإنذار ----- ۱۳
خامسا: العنکبوت والدعوة ----- ۱۵
الفصل الثانی: من وصایا الدعوة الخاتمة ----- ۱۷
أولا: ظل المنزلة الممدود ----- ۱۷
ثانیا: أضواء علی المنزلة العالیة ----- ۲۵
[تمه?د] ----- ۲۵
مقام التطهیر ----- ۲۶
حکام العلم ----- ۲۸
ثالثا: الترغیب والترهیب ----- ۳۲
رابعا: رحیل النبی الخاتم صلی الله علیه وآله وسلم ----- ۳۷
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۳۹

و جاء الحق

اشارة

مولف : سعيد أيوب
ناشر : مركز الابحاث العقائديه

كلمة المركز

هذا الكتاب، فى الأصل، فصل من فصول كتاب " ابتلاءات الأمم، " للمغفور له الباحث سعيد أيوب. وقد استللناه من ذلك المؤلف القيم، ووضعناه تحت عنوانه الأصلى ": وجاء الحق."

والمقصود بالحق، هنا، الدعوة الخاتمة، دعوة النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الموجهة إلى البشرية جمعاء، والقائلة لأهل الكتاب: تعالوا إلى كلمة عدل نستوى نحن وأنتم فيها، فنعبد الله وحده، ونتبع تعاليمه.. وهذه دعوة جميع الأنبياء والرسل منذ خلق الله الخلق.

يبحث المؤلف، وهو الباحث الذى نذر حياته من أجل تبيين معالم خط الإسلام الأصيل، المتمثل بمذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام، فى القسم الأول من بحثه قضية " الدعوة الخاتمة وأهل الكتاب، " ويخلص - استنادا إلى النصوص التى يستقرئها - إلى القول: إن الدعوة الخاتمة، فى الوقت الذى تفتح فيه أبوابها للباحثين عن الحقيقة، تحذر من اتباع أى مشروع يهدف إلى الصد عن سبيل الله.. ويفضى البحث فى هذه القضية، إلى بحث القضية الثانية، فى القسم الثانى، بالاعتماد على استقراء مجموعة " من وصايا الدعوة الخاتمة . "ويفيد هذا الاستقراء أن الأمة الخاتمة لم تستثن من الاختبار بالأنبياء والرسل وبأوصيائهم. فقد قابلت دائرة هارون وبنيه فى الشريعة الموسوية دائرة الإمام على بن أبى طالب وبنيه عليهم السلام فى الشريعة المحمدية. فقد جاء فى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى ": أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى."

--- ... الصفحة ۶ ... ---

ينطلق المؤلف، فى بحثه، من النصوص، فيستقرئها، ويخلص إلى نتائج لا يلبث أن يؤيدها بالشواهد، ورائده فى ذلك ما أمر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو الخلق إلى الله، عز وجل، بالحكمة والموعظة الحسنة، وبذلك تشرع أبواب الحق أمام الذين يريدون الاستبصار فى الدين.

رحم الله المؤلف، وعسى أن نكون قد وفقنا إلى تحقيق الهدف الذى كان يرجوه، والله تعالى الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

مركز الغدير للدراسات الإسلامية

--- ... الصفحة ۷ ... ---

الفصل الأول

الدعوة الخاتمة وأهل الكتاب

--- ... الصفحة ۸ ... ---

--- ... الصفحة ۹ ... ---

على أعتاب الدعوة الإلهية الخاتمة كانت الساحة الإنسانية ترتع فيها أعلام المادية، التى لا يريد أصحابها إلا الحياة وزينتها، ولا يرجون

بعثا ولا نشورا، ولا يعبأون بشئ من الفضائل المعنوية والروحية، وفى مقابل أصحاب المادة رفع دعاة الروح أعلامهم، وانطلقوا فى مسيرة يرفضون فيها الكمالات الجسمية التى أظهرها الله - تعالى - فى مظاهر النشأة المادية، لتكون ذريعة كاملة إلى نيل ما خلق لأجله الإنسان. وسارت القافلة البشرية تحت هذه الأعلام التى لا تحقق السعادة فى الدنيا، لأن حملة الأعلام المادية أبطلوا النتيجة بالوقوف على سببها والجمود عليه، وحملة أعلام الروح أبطلوا النتيجة بإبطال سببها.

كانت المسيرة البشرية فى حاجة وسط يقف بين الطرفين، ويقودهما إلى الهدف الذى من أجله خلق الله الإنسان، وسط لا إلى هذا الطرف ولا إلى ذاك، وإنما يقف بين الجانبين، جانب الجسم وجانب الروح، وبه يقاس ويوزن كل من طرفى الإفراط والتفريط، ليكون شهيدا على سائر الناس الواقعة فى الأطراف.

ومن لطف الله - تعالى - ورحمته بالعباد، بعث - سبحانه - النبى الخاتم، النبى الأمى العربى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم، ليقود أمة تحمل للبشرية دينا يهدى الناس إلى وسط الطرفين، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

دعوة أهل الكتاب

أولا: الدعوة إلى التوحيد الحق

توجهت الدعوة الإلهية الخاتمة إلى البشرية كافة، وإن أهل الكتاب بينهم من يعرف الحق ومعارف الدين، وفيهم رهبان وزهاد يعرفون عظمة ربهم ولا يستكبرون، وفيهم الباحث عن الحقيقة، توجهت الدعوة إليهم من

--- ... الصفحة ۱۰ ... ---

طرق عديدة لتحيطهم بالحجة من كل مكان، وبين الله - تعالى - لهم أن رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم هو النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل، قال تعالى: (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) [المائدة: ۱۵ - ۱۶]، والمعنى: أن الرسول يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه وافتروا على الله فيه، ويسكت عن كثير مما غيروه ولا فائدة فى بيانه، وأن دعوته تدعو إلى الصراط المستقيم المهيمن على الطرق كلها.

ونظرا لأن مسيرة اليهود رشحت عليها عقائد الأمم الوثنية، وحمل التوحيد على امتداد مسيرتهم بصمات الآلهة المتعددة، حتى صار الإله - فى نهاية المطاف - إلها خاصا ببنى إسرائيل دون غيرهم من الأمم، ونظرا لأن الأحبار والرهبان بدلوا الدين الذى بعث به عيسى عليه السلام، ونسبوا إلى المسيح ما لا يجوز وقالوا بألوهيته، وأطاعتهم القافلة النصرانية من غير قيد ولا شرط، فإن الدعوة الخاتمة صححت هذه المفاهيم فى أكثر من آية، ومنها قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) [آل عمران: ۶۴]، والمعنى: تعالوا إلى كلمة عدل نستوى نحن وأنتم فيها، ثم فسر هذه الكلمة بقوله: (ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا)، لا وثنا ولا صليبا ولا صنما ولا طاغوتا ولا نارا ولا أى شئ آخر، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة كل الرسل منذ ذرأ الله ذرية آدم، ثم قال: (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله)، أى: لا يسجد بعضنا لبعض، أو يطيع بعضنا بعضا فى معصية الله، أو نحرم الحلال ونحل الحرام، فنحن وأنتم ما أمرنا إلا لنعبد الله وحده، الذى إذا حرم شيئا فهو الحرام، وما حلله فهو الحلال، وما شرعه اتبع، وما

--- ... الصفحة ۱۱ ... ---

حكم به نفذ، تعالى الله سبحانه وتقدس وتنزه عن الشركاء، والنظراء، والأعوان، والأضداد، لا إله إلا هو، ولا رب سواه، فإن تولوا عن هذه الدعوة، فاشهدوا أنتم على استمراركم على الإسلام الذى شرعه الله لكم.

ثانيا: الدعوة إلى اتباع قبلة الرسالة الخاتمة

عندما بعث النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، كان الاختلاف بين اليهود على تحديد القبلة اختلافا ثابتا لا شك فيه، ونسيانهم للجبل المقدس الذى يجب أن يتوجهوا إليه، نسيان مسطور فى ما بين أيديهم من كتاب، قال أشعيا وهو يحذرهم بأن الرب قال لهم": أما أنتم الذين تركوا الرب ونسوا جبلا قدسيا فإنى أعينكم للسيف (" ١). وهذا النسيان ترى معالمه على التوراتين: السامرية والعبرية، فبينما تقول التوراة السامرية: إن القبلة فى اتجاه جبل جرزيم، تقول التوراة العبرانية: إنها فى اتجاه جبل عيبال، والمسيح عليه السلام شهد بوجود هذا الاختلاف فى عهد بعثته، وبشرهم بأن العبادة لن تكون فى المستقبل لا فى اتجاه هذا الجبل ولا فى اتجاه أورشاليم، وذلك لأن الله سينزع من أيديهم القيادة ويسلمها إلى شعب آخر (٢). وما ذكره المسيح عليه السلام بخصوص القبلة، جاء عند ما كان متوجها إلى أورشاليم، فقالت له امرأة سامرية ": يا سيدى، أرى أنك نبى، آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل، وأنتم تقولون: إن فى أورشاليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه، فأجابها يسوع:
صدقينى يا امرأة ستأتى الساعة التى فيها تعبدون الأب لا فى هذا الجبل ولا فى أورشاليم (٣). وقبل البعثة الخاتمة، لم يكن فى أورشاليم هيكل بعد أن دمر الامبراطور تيطس آخر هيكل عام ٧٠ م، ولم يكن فى أورشاليم حاخامية لليهود بعد أن ألغى الامبراطور ثيودوسيوس الحاخامية عام ٤٣٥ م، وترتب على ذلك تفرق اليهود فى الأرض.

---

(١) أشعيا: ١١ / ٦٥.

(٢) متى: ٢١ / ٤٢ – ٤٥.

(٣) يوحنا: ٤ / ٢٢.

--- ... الصفحة ١٢ ... --

ولما كانت الدعوة الإلهية المتوجهة إلى بنى إسرائيل قد نزل عليها الستار بعد بعثة عيسى عليه السلام، لأنه آخر أنبياء بنى إسرائيل عليهم السلام، ولما كان عيسى عليه السلام يسجد لله فى اتجاه أورشاليم، ولما كانت الدعوة الإلهية اللاحقة تبدأ من حيث انتهت الدعوة الإلهية التى سبقتها، باعتبار أن الدعوة الإلهية للناس – منذ ذرأ الله ذرية آدم – دعوة واحدة، صراطها واحد، وغاياتها واحدة، فتبدأ دعوة اللاحق من الرسل من حيث انتهت دعوة السابق منهم ثم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد، ويكلف عباده بما شاء وينسخ ما يشاء، لأنه – تعالى – له الحكمة التامة والحجة البالغة فى جميع ذلك، ولما كان أهل الكتاب يعلمون من كتب أنبيائهم أن الدعوة الخاتمة لها صفات خاصة بها، وأنها ستبين لهم ولغيرهم الاتجاه الذى يجب أن يسجد الناس نحوه، فإن الله – تعالى – عند ما بعث رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، أمره بالتوجه إلى قبلة بيت المقدس، والمعنى الذى يستشف من هذا الحدث هو أن الدعوة الإلهية دعوة واحدة، وأن الحلقات فيها ترتبط بعضها ببعض، وتحت هذا السقف تقام الحجة على الذين اختلفوا فى الدين والذين جعلوا الدين دينا خاصا بهم، تحت هذا السقف ينظر الله إلى عباده كيف يعملون، ومن يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه.
وعند ما كانت القبلة فى اتجاه بيت المقدس، تدبر فى الأحداث الذين يعرفون الحق ومعارف الدين، والزهاد من أهل الكتاب، وأصغوا لصوت الحق، وتكاتم البعض ذلك بينهم حسدا وكفرا وعنادا، وانطلقوا يصدون عن سبيل الله، وبعد أن أقامت الدعوة حجتها على بنى إسرائيل فى هذا الأمر، أمر – تعالى – رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يولى وجهه شطر المسجد الحرام بمكة، وأخبره بأن أهل الكتاب يعلمون أنه الحق من ربهم، قال تعالى: (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب

يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم، وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا

--- ... الصفحة ۱۳ ... --

لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) إلى قوله تعالى: (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون، ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض) [البقرة ۱۴۲ – ۱۴۵]، قال المفسرون: والمعنى: إنما شرعنا لك يا محمد أولا التوجه إلى بيت المقدس، ثم صرفناك عنه إلى الكعبة ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حيثما توجهت، ممن ينقلب على عقبيه، وإن كان صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة لأمرا عظيما فى النفوس، إلا على الذين هدى الله قلوبهم، فأيقنوا بتصديق الرسول، بأن كل ما جاء به هو الحق الذى لا مرية فيه، وبأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وله – تعالى – أن يكلف عباده بما شاء وينسخ ما يشاء، وهذا بخلاف ما يقوله الذين فى قلوبهم مرض، فإنه كلما حدث أمر أحدث لهم شكا، ثم أخبره – تعالى – بأن صلاتهم إلى بيت المقدس لن يضيع ثوابها عند الله، وأمره – تعالى – بأن يولى وجهه شطر المسجد الحرام، وأخبره أن الذين أوتوا الكتاب يعلمون أن الله سيوجهه إلى هذه القبلة، مما فى كتبهم عن أنبيائهم من النعت والصفة لرسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، وما خصه الله – تعالى – به وشرفه من الشريعة الكاملة العظيمة، ولكن أهل الكتاب يتكاتمون ذلك بينهم حسدا وكفرا وعنادا، وأخبر – تعالى – أن الرسول لو أقام عليهم كل دليل على صحة ما جاءهم به، لما اتبعوا قبلته كفرا وعنادا، وأنه لن يتبع قبلتهم لأن ذلك عن أمر الله تعالى، له الحكمة التامة والحجة البالغة، ثم أشار – تعالى – إلى اختلافهم فى ما بينهم فى تحديد قبلتهم القديمة، وهو قوله: (وما بعضهم بتابع قبلة بعض)، وأمره – تعالى – أن يستمسك بأمر الله ولا يتبع أهواءهم فى جميع أحواله، وقال – جل شأنه –: (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين، الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) [البقرة ۱۴۵ – ۱۴۶]، والمعنى: أن علماء أهل

--- ... الصفحة ۱۴ ... --

الكتاب يعرفون صحة ما جاء به الرسول، ومن ذلك توجهه شطر المسجد الحرام، كما يعرف أحدهم ولده.

وبالجملة، كان التوجه إلى بيت المقدس، ثم صرف عنه إلى الكعبة، امتحانا لأهل الكتاب الذين علموا من أبنائهم أن قيادة الدعوة الإلهية ستنتقل من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل، وأن عنوان هذه الدعوة ورسولها هو النبى الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكان امتحانا أيضا للذين اتبعوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم من العرب وغيرهم، لأن صرف التوجه عن بيت المقدس سيثير شكوك البعض، وسيغذى أهل الكتاب والذين فى قلوبهم مرض هذه الشكوك وهم يصدون عن سبيل الله، وتحت سقف هذا الامتحان ينظر الله إلى عباده كيف يعملون.

ثالثا: اتباع إبراهيم عليه السلام

بعد عهد السبى تاجر اليهود بالميراث الذى كتبه الله لإبراهيم، وانطلقوا فى اتجاه هذا الهدف بالعمل على إقامة مملكة داود، وعاصمتها أورشاليم، بعد أن تبنوا عقيدة تقول: إن مملكة داود هى وعاء للعهد الإبراهيمى، وعلى امتداد مسيرتهم وبخهم الأنبياء على هذا الاعتقاد، فقال لهم حزقيال:

تقولون: إن إبراهيم كان واحدا وقد ورث الأرض، ونحن كثيرون لنا أعطيت الأرض ميراثا... تأكلون بالدم، وترفعون أعينكم إلى أصنامكم، وتسفكون الدم. أفترثون الأرض ("؟ ۱)، وقال لهم يوحنا (يحيى): تقولون ": لنا إبراهيم أبا، فإنى أقول لكم: إن الله قادر أن

يطلع من هذه الحجارة أولاد إبراهيم (" ٢)، وقال لهم المسيح عليه السلام ": لو كنتم أولاد إبراهيم لعملتم أعمال إبراهيم، " وقال": أنتم أولاد أبيكم إبليس. شهوات أبيكم، ترغبون فى أن تعملوا، فهو من البدء كان قاتلا للناس (" ٣).

---

(١) حزقيال: ٣٣ / ٢٣ - ٢٥.

(٢) متى: ٣ / ٧ - ١١.

(٣) يوحنا: ٨ / ٣٧.

وعندما بعث النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، تحدث أهل الكتاب بعقيدتهم الخاصة بالميراث، وعملوا على نشر الثقافة التى تصب فى وعاء هذه العقيدة، واليهود فى مصادر الإسلام أعلنوا أنهم فى انتظار المسيح الذى يملكون به الأرض، والنصارى تحدثوا بما وضعه بولس فى عقولهم، وهو أن الأمم شركاء لليهود فى الميراث، ووفقا لهذا الاعتقاد بدأوا بالتحرك لوقف تحرك الدعوة الخاتمة فى اتجاه الأمم، وشيد اليهود والنصارى صروحهم على إبراهيم عليه السلام، فبينما زعم الحى اليهودى أن إبراهيم كان يهوديا، زعم الحى النصرانى أن إبراهيم كان نصرانيا، وفى زحمة هذه الثقافات، قالت اليهود:

ليست النصارى على شئ، وقالت النصارى: ليست اليهود على شئ، هذه الأقوال والاعتقادات شهد بها القرآن الكريم، ورد عليها، وأقام على هؤلاء وهؤلاء الحجة الدامغة، ومن هذه الآيات قوله تعالى: (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) [المائدة: ١٨]، والمعنى: لو كنتم - كما تدعون - أبناء ه وأحباءه، فلم أعدت لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم وافترائكم (بل أنتم بشر ممن خلق)، أى لكم أسوة بأمثالكم من بنى آدم، وهو - سبحانه - الحاكم فى جميع عباده، فعال لما يريد، لا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب.

وقال تعالى: (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين، قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شقاق) [البقرة:

١٣٥ - ١٣٧]، وقبل هذه الآيات بين - تعالى - أن الدين الحق الذى كان عليه أولاد إبراهيم من إسماعيل وإسحاق ويعقوب وأولاده، كان هو الإسلام الذى كان عليه إبراهيم حنيفا، ويستنتج من ذلك أن أهل الكتاب على عهد البعثة

الخاتمة، كانوا قد انتهى بهم المطاف إلى أرضية الاختلافات والانشعابات، التى أفرزتها اختراعاتهم وهوسهم، بعد أن صبغوا دين الله بصبغة الأهواء والأغراض والمطامع، وروى أن اليهودى عبد الله بن صوريا قال للرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك (١)، فقال الله لرسوله: (قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين)، أى: قل بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا، فإنها الملة الواحدة التى كان عليها جميع أنبيائكم، وما كان صاحب هذه الملة - وهو إبراهيم - من المشركين.

ثم ذكر لهم أن الدعوة الخاتمة تؤمن بالله وما أنزل إليها، وهو القرآن، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، ثم ذكر ما أوتى موسى وعيسى، وخصهما بالذكر، لأن المخاطبة مع اليهود والنصارى، ثم ذكر ما أوتى النبيون من ربهم، لتشمل الشهادة جميع الأنبياء، فيستقيم قوله بعد ذلك: (لا نفرق بين أحد منهم)، ثم قال تعالى: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا)، أى فإن آمنوا بما آمنتم به من الإيمان بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم، فقد أصابوا الحق وأرشدوا إليه.

من الآيات السابقة يمكن أن نستشف الثقافة التى كان اليهود والنصارى يبثونها على عهد الرسالة الخاتمة، فلقد ادعوا بأنهم أبناء الله

وأحباؤه، وقالوا: كونوا هودا أو نصارى تهتدوا، ويبدو أن القرآن عند ما ضرب العمود الفقرى لثقافتهم هذه، قرروا بأن يعمل كل حى من أحيائهم على انفراد، ويمكن أن نستشف ذلك من قوله تعالى: (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب) [البقرة:

١١٣]، قال المفسرون ": هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا القول يقتضى أن كلا من الطائفتين صدقت فى ما رمت به الطائفة الأخرى، ولكن ظاهر سياق الآية يقتضى ذمهم فى ما قالوه مع علمهم

---

(١) تفسير ابن كثير: ١ / ١٨٦.

بخلاف ذلك، ولهذا قال تعالى: (وهم يتلون الكتاب)، أى: وهم يعلمون شريعة التوراة والانجيل، كل منهما قد كانت مشروعة فى وقت، ولكنهم تجاحدوا فيما بينهم عنادا وكفرا ومقابلة للفاسد بالفاسد (" ١)، وبالجملة، قد كان أوائل اليهود والنصارى على شئ، وهذا لا تخلو منه كتبهم لإقامة الحجة عليهم على امتداد المسيرة، ثم ابتدع الذين من بعدهم وتفرقوا، ثم جاء العلماء الذين وضعوا التفسير الشفهى للتوراة (التلمود)، وعندها انقسم اليهود إلى فرق وأحزاب، وانتهى الأمر بأن وقف الحى اليهودى داخل دائرة حددها الأحبار، ووقف الحى النصرانى داخل دائرة حددها بولس لخدمة أصحاب الدائرة الأولى، فالثقافة التى تخرج من مدونات خدمة النصارى لليهود تقول بأن اليهود والنصارى أبناء الله وأحباؤه، أما الثقافة التى تدفع أصحابها إلى أن يقول كل منهم أن الآخر ليس على شئ، فهى نتيجة لحجة البعثة الخاتمة ومواجهتها للأطراف مجتمعين، فالدعوة الخاتمة أرشدتهم إلى الحق ليتفكروا ويتدبروا، وبدلا من أن يرجعوا إلى كتبهم التى لا تخلو من حق، ويعرضوها على منهج البعثة الخاتمة، انطلقوا من التفسير الشفهى، وهذا التفسير لا يقيم حقا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، لأنه مقابلة للفاسد بالفاسد.

وفى مجال عمل كل حى منفردا عن الآخر، قام كل منهما بوضع جميع الأنبياء داخل الحى الخاص به، ورد القرآن عليهم قولهم، قال تعالى: (أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون) [البقرة: ١٤٠]، والمعنى: قال كل من الفريقين: إن إبراهيم ومن ذكر من بعده منهم، فقال تعالى: (قل أأنتم أعلم أم الله)، أى: فإن الله أخبرنا وأخبركم فى الكتاب أن موسى وعيسى وكتابيهما بعد إبراهيم، فإذا كان تشريع اليهودية أو النصرانية بعد إبراهيم ومن ذكر معه، فكيف يكون إبراهيم والذين ذكروا معه هودا أو نصارى؟ وقال تعالى: (يا أهل الكتاب لم

---

(١) تفسير ابن كثير: ١ / ١٥٥.

تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون، ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون، ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين، إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين، ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون، يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون، يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) [آل عمران: ٦٥ - ٧١].

لقد أنكر الله عليهم قولهم ذلك، وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة الذى يعلم الأمور على حقائقها، وشهد - سبحانه - بأن إبراهيم كان متحنفا عن الشرك، قاصدا إلى الإيمان، وما كان من المشركين، وأخبر - سبحانه - بأن أحق الناس بمتابعة

إبراهيم، الذين اتبعوه على دينه، وهذا النبى، يعنى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم والذين آمنوا، لأنهم على الإسلام الذى اصطفى الله به إبراهيم، وكذا كل من اتبعه دون أن يكفر بآيات الله ويلبس الحق بالباطل، ثم أخبر - تعالى - بأن طائفة من أهل الكتاب تود أن تضل الذين آمنوا بإلقاء الشبهات بينهم، وأنهم يضلون أنفسهم أولا، لأن الإنسان لا يفعل شيئا - من خير أو شر - إلا لنفسه، كما قال تعالى: (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فلها وما ربك بظلام للعبيد) [فصلت: ۴۶]، ثم قال سبحانه: (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون) [آل عمران:

۷۰]، وأهل الكتاب لا ينكرون أن للعالم إلها، وإنما ينكرون أمورا من الحقائق بينتها لهم الكتب السماوية المنزلة عليهم وعلى غيرهم، كنبوة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وكون عيسى عبد الله ورسوله، وأن إبراهيم ليس بيهودى ولا نصرانى، وأن يد الله مبسوطة، وأن الله غنى، وأن الدجال فتنة فيه تصب جميع الفتن، إلى غير ذلك. وقوله تعالى: (وأنتم تشهدون)، والشهادة هى الحضور والعلم عن حس، دلالة على أن المراد بكفرهم بآيات الله، إنكارهم

--- ... الصفحة ۱۹ ... ---

كون النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو النبى الموعود الذى بشر به التوراة والانجيل، مع مشاهدتهم انطباق الآيات والعلائم المذكورة فيهما عليه، وأيضا إنكارهم ما يبينه لهم النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم من آيات ربهم التى تنطق بها كتبهم التى بين أيديهم، ويشهد القرآن بها، ثم قال تعالى: (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) [آل عمران: ۷۱]، والمعنى: لم تظهرون الحق فى صورة الباطل؟ وقوله: (وأنتم تعلمون) دلالة أو تلويح على أن المراد باللبس والكتمان ما هو فى المعارف الدينية، غير ما يشاهد من الآيات التى حرفوها أو كتموها أو فسروها بغير ما يراد منها.

ولما كان الله - تعالى - قد أنكر عليهم كفرهم بآيات الله وهم يشهدون، فإنه - تعالى - بين فى آية أخرى من آيات القرآن الكريم، أن جدالهم فى آيات الله بغير سلطان أتاهم، رغبة منهم فى إدحاض الحق الصريح بهذا الجدال، قد أوقعهم فى فتنة المسيح الدجال، ففى قوله تعالى: (إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم إن فى صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير) [غافر: ۵۶]، أخرج ابن أبى حاتم عن كعب، أن هذه الآية نزلت فى اليهود فى ما ينتظرونه من أمر الدجال، وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج، قال: قال اليهود: يكون منا ملك آخر الزمان، البحر إلى ركبتيه، والسحاب دون رأسه، يأخذ الطير بين السماء والأرض، معه جبل خبز ونهر، وقال أبو العالية: نزلت هذه الآية فى اليهود، وذلك أنهم ادعوا أن المسيح (الدجال) منهم، وأنهم يملكون به الأرض، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يستعذ من فتنة الدجال (۱).

وبالجملة، بينت الدعوة الإلهية الخاتمة أن الرقعة التى يقف عليها أهل الكتاب ويطالبون من فوقها بالميراث الذى كتبه الله لإبراهيم، رقعة لا علاقة لها بإبراهيم ولا بالأنبياء الذين جاؤوا من بعده، لأنها رقعة أوجدتها

---

(۱) أنظر: تفسير ابن كثير: ۴ / ۸۴، تفسير الميزان: ۱۷: ۳۴۸.

--- ... الصفحة ۲۰ ... ---

الاختلافات والانشعابات، وهذا لا يستقيم مع الدين الإلهى، لأن الدين واحد، كما أن الإله المعبود بالدين واحد، وهو دين إبراهيم عليه السلام، وهذا الدين هو الذى تتمسك به الدعوة الإلهية الخاتمة، ولما كان القوم لا علاقة لهم بإبراهيم، وشهد بذلك حزقيال وأشعيا ويوحنا والمسيح عليه السلام، وشهد بذلك القرآن الكريم الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فالنتيجة هى أن القوم لا علاقة لهم بميراث إبراهيم فى الدنيا والآخرة، ولما كان القوم ما زالوا يعتقدون بأن القدر يخبئ لهم أميرا سيخرج آخر الزمان يمتلكون به الأرض، فإن الدعوة الخاتمة أخبرت بأن المسيح الدجال سيخرج آخر الزمان، وأنه سيرفع شعار أرض الميعاد، وأن أكثر أتباعه من اليهود، ويلحق بهم الذين أخذوا بذيول اليهود، ثم الذين اتبعوا سنن أهل الكتاب شبرا بشبر، وذراعا بذراع..

رابعا: البيان والإنذار

أقامت الدعوة الإلهية الخاتمة حجتها على أهل الكتاب، وبينت لهم أن الله - تعالى - منذ بعث نوحا عليه السلام لم يرسل بعده رسولا ولا نبيا إلا من ذريته، وكذلك إبراهيم عليه السلام فلم ينزل - سبحانه - على أحد كتابا من السماء، ولا أرسل رسولا ولا أوحى إلى بشر من بعده، إلا وهو من سلالته، قال تعالى: (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) [الحديد: ۲۶]، وبينت الدعوة الخاتمة أن جميع الأنبياء يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) [الأنبياء ۲۵]، وأن إبراهيم عليه السلام لم يدع مع الله غيره ولا أشرك به طرفة عين، وتبرأ من كل معبود سواه، ومن ترك طريقة إبراهيم عليه السلام يكون قد ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال، وبينت الدعوة أن إبراهيم عليه السلام وصى بنيه بالإسلام، وبنيه وصوا أبناءهم به من بعدهم، قال تعالى: (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون، أم كنتم شهداء إذ

--- ... الصفحة ۲۱ ... ---

حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون) [البقرة: ۱۳۲ - ۱۳۳].

وبينت الدعوة الخاتمة بأنها تؤمن بكل نبى أرسل، وأخبرت أن كل من سلك طريقا سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين، قال تعالى لرسوله: (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) [آل عمران: ۸۴ - ۸۵]، وأعلنت الدعوة من يومها الأول أنها على ملة إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا) [النحل ۱۲۳]، وقال جل شأنه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: (قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين، قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) [الأنعام: ۱۶۱ - ۱۶۳].

لقد بينت الدعوة الإلهية الخاتمة للبشرية العقيدة الحقة، وأقامت الحجة على أهل الكتاب ليتفكروا وليتدبروا، ليعلموا أن دين إبراهيم برئ من جميع العقائد التى عليها بصمات العجول وآلهة الأمم المتعددة، وأن دين إبراهيم لا علاقة له بعقائد التثليث وألوهية المسيح، ولم تكن مهمة إبراهيم عليه السلام فى يوم من الأيام هى البحث عن الميراث من النيل إلى الفرات، وإنما كان عليه السلام إماما للناس، يقتدون به ويتبعونه فى أقواله وأفعاله، وهذه الإمامة لا ينالها ظالم من ولده، لأن الله لا يجعل الظالمين أئمة، ولا يعطى الإمامة لعدوه، لأن هؤلاء يأتون كنتيجة لأعمال الظالمين من الناس، والله - تعالى - رؤوف بالعباد، والناس تحت مظلة الاختبار يمتحنون، فمن سلك طريقا على ذروته إمام للرحمة والعدل، وصل إلى غايته، ومن سلك طريقا على ذروته إمام يدعو إلى النار، دخل فيها.

--- ... الصفحة ۲۲ ... ---

وعلى امتداد عهد البعثة الخاتمة، بين الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أن شريعته تنهى عن الفحشاء والمنكر وتأمر بالمعروف، وتحذر من البغى والاستكبار والاختلاف، وتنادى بالعدل والإحسان والاستقامة، وتدعو إلى العمل الصالح والتفكر والتدبر والإصلاح والإخلاص، وأن منهج الدعوة عموده الفقرى هو التوحيد، وشجرته الأخلاق الفاضلة، إلى غير ذلك من الأوامر والنواهى.

وعلم أهل الكتاب وغيرهم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، قال تعالى: (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) [الأعراف: ۱۲۸]، ولقد اختبر الله - تعالى - الفرع الإسرائيلى من الشجرة الإبراهيمية، وبعث فيهم الأنبياء والرسل لينظر - سبحانه - كيف تعمل القافلة، وعلم أهل الكتاب كيف سارت القافلة وبماذا حكم الله عليها، وهذا الحكم يقرأوه فى ما بين أيديهم من

التوراة الحاضرة، ومنه قول الرب لهم ": ها أنذا أنساكم وأرفضكم من أمام وجهى، أنتم والمدينة التى أعطيتكم وآباءكم إياها، وأجعل عليكم عارا أبديا وخزيا أبديا لا ينسى (" ۱)، وقال ": هو ذا من أجل آثامكم بعتم، ومن أجل ذنوبكم طلقت أمكم (" ۲)، وبين هذا الحكم وبين البعثة الخاتمة، قتلوا الأنبياء الذين بعثهم الله لإقامة الحجة على الأجيال المتعاقبة، وعند ما جفت المسيرة من الماء، بعث النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ليختبر الله - تعالى - بمنهجه أمة جديدة فى مقدمة عالم جديد.

وببعثة النبى الخاتم حكمت الدعوة الإلهية حكمها الفصل على قصة الميراث، التى سهر عليها بنو إسرائيل ليلا طويلا، وذلك ببسط الدعوة يدها على المسجد الحرام والمسجد الأقصى فى رحلة واحدة فى ليلة واحدة، قال تعالى: (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد

---

(۱) أرميا: ۲۳ / ۴۰.

(۲) المصدر نفسه: ۱۷ / ۲ - ۴.

الأقصى الذى باركنا حوله) [الإسراء: ۱]، فالميراث بدأت حدوده من موضع سجود، وانتهت إلى موضع سجود، وهو ممتد إلى كل موضع سجود، وليس معنى هذا أن الدعوة الخاتمة تبحث عن الأرض والطين، وإنما معناه أنها ترعى التقوى فى أى مكان، وتعمل من أجل الإصلاح فى كل مكان، ترعى التقوى لأن العاقبة للمتقين، وتعمل من أجل الإصلاح حتى يرث الصالحون، قال تعالى: (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) [الأنبياء: ۱۰۵].

ولأن الدعوة تقوم على التوحيد، ولأن التوحيد هو الحصن الحصين الذى يحفظ الإنسان من الزلل، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ": والذى نفس محمد بيده، لا يسمع بى أحد من هذه الأمة، يهودى ولا نصرانى، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار (" ۱) وروى أنه صلى الله عليه وآله وسلم ذهب إلى يهود، وقال لهم ": يا معشر اليهود، أسلموا تسلموا، " فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال ": أسلموا تسلموا، " فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال ": ذلك أريد، (" أى أريد أن تعرفوا أنى بلغت)، ثم قال لهم:

"اعلموا أنما الأرض لله ولرسوله، وأنى أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن وجد منكم بماله شيئا فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ولرسوله (" ۲)، فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم بلغ بالاسلام، ولكن القوم كانت عيونهم على الأرض والطين، لأنهم من أجل هذا الميراث يعملون، فوقفوا بما يعتقدون أمام القول الفصل وهو ": اعلموا أن الأرض لله ورسوله، " ولم يكن الجلاء من جزيرة العرب عقابا وحيدا للذين يصدون عن سبيل الله وإنما أنذرهم الله بعقاب أليم فى الحياة الدنيا والآخرة، قال تعالى: (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا) [النساء: ۴۷]، قال فى

---

(۱) رواه مسلم، الصحيح: ۱ / ۹۳.

(۲) المصدر نفسه: ۵ / ۱۵۹.

الميزان ": دعاهم الله - تعالى - إلى الإيمان بالكتاب الذى نزله مصدقا لما معهم، وأوعدهم بالسخط الذى يلحقهم لو تمردوا واستكبروا من طمس أو لعن يتبعانهم اتباعا لا ريب فيه، وطمس الوجوه: محو هذه الوجوه التى يتوجه بها البشر نحو مقاصدهم الحيوية مما فيه سعادة الإنسان المرتقبة والمرجوة، وهذا المحو ليس هو المحو الذى يوجب فناء الوجوه وزوالها، بل محو يوجب ارتداد تلك

الوجوه على أدبارها، فإذا كانت الوجوه تقصد مقاصدها على الفطرة التى فطر الله الناس عليها، فإن الوجوه المطموسة لا تقصد إلا ما خلفته وراءها، ولا تمشى إليه إلا القهقرى، وهذا الإنسان الذى يسير فى غير اتجاه الفطرة، كلما توجه إلى ما يراه خيرا لنفسه وصلاحا لدينه ودنياه لم ينل إلا شرا وفسادا، وكلما بالغ فى التقدم زاد فى التأخر، وليس بفالح أبدا، وقوله تعالى: (نطمس وجوها) فيه أنه - تعالى - أتى بالجمع المنكر، ولو كان المراد الجميع لم ينكر، ولتنكير الوجوه وعدم تعيينها هدف من ورائه حكمة، هى أن المقام لما كان مقام الإبعاد والتهديد، وهو إبعاد للجماعة بشر لا يلحق إلا ببعضهم، كان إبهام الأفراد الذين يقع عليهم السخط الإلهى أوقع فى الإنذار والتخويف، لأن وصفهم على إبهامه يقبل الانطباق على كل واحد من القوم، فلا يأمن أحدهم أن يمسه هذا العذاب (" ۱).

خامسا: العنكبوت والدعوة

حذرت الدعوة الخاتمة من سلوك سبيل الذين كفروا من أهل الكتاب، لأن الدعوة تقيم وجهها للدين وتتجه بالبشرية إلى الأمام، وتمدها على امتداد الطريق بالزاد الفطرى الذى يحقق السعادة فى الدنيا بما يوافق الكمال الأخروى، بينما تتقدم قافلة الذين كفروا إلى الخلف بزاد عذاب الطمس الذى ضربه الله عليهم بما كسبت أيديهم، وعلى امتداد هذا الطريق، كلما بالغ أصحابه فى التقدم زادوا فى التأخر، ولن يحصلوا على السعادة الحقيقية أبدا.

---

(۱) الميزان: ۴ / ۳۶۷.

ومن الآيات التى حذر فيها الله من الذين كفروا من أهل الكتاب قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم) [المائدة: ۵۱]، قال فى الميزان ": نهى عن مودتهم الموجبة إلى تجاذب الأرواح والنفوس، لأن ذلك يقلب حال المجتمع من السيرة الدينية المبنية على سعاة اتباع الحق، إلى سيرة الكفر المبنية على اتباع الهوى وعبادة الشيطان والخروج عن صراط الحياة الفطرية، وقوله تعالى: (بعضهم أولياء بعض)، أى: لتضارب نفوسهم وتجاذب أرواحهم، المستوجب لاجتماع آرائهم على اتباع الهوى والاستكبار عن الحق وقبوله، واتحادهم على إطفاء نور الله سبحانه، وتناصرهم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين، كأنهم نفس واحدة ذات ملة واحدة، وليسوا على وحدة الملية، لكن يبعث القوم على الاتفاق ويجعلهم يدا واحدة على المسلمين أن الإسلام يدعوهم إلى الحق، ويخالف أعز المقاصد عندهم، وهو اتباع الهوى والاسترسال فى مشتهيات النفس وملاذ الدنيا، فهذا هو الذى جعل الطائفتين - اليهود والنصارى -، على ما بينهما من الشقاق والعداوة، مجتمعا واحدا، يقترب بعضه من بعض ويرتد بعضه إلى بعض، يتولى اليهود النصارى وبالعكس، ويتولى بعض اليهود بعضا وبعض النصارى بعضا، وبالجملة، لا تتخذوهم أولياء لأنهم على تفرقهم وشقاقهم فيما بينهم يد واحدة عليكم، لا نفع لكم فى الاقتراب منهم بالمودة والمحبة، وربما أمكن أن يستفاد من قوله: (بعضهم أولياء بعض) معنى آخر وهو: أن لا تتخذوهم أولياء لأنكم إنما تتخذونهم أولياء لتنتصروا ببعضهم الذين هم أولياؤكم على البعض الآخر، ولا ينفعكم ذلك، فإن بعضهم أولياء بعض فليسوا ينصرونكم على أنفسهم (" ۱).

ومن آيات التحذير أيضا قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل، والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) [النساء: ۴۴ - ۴۵]، قال فى الميزان ": أى

---

(۱) الميزان: ۵ / ۳۷۳.

أنك ترى اليهود الذين أوتوا نصيبا من الكتاب، أى حظا منه، لا جميعه، كما يدعون لأنفسهم، يشترون الضلالة ويختارونها على

الهدى، ويريدون أن تضلوا السبيل، فإنهم وإن لقوكم ببشر الوجه، وظهروا لكم فى زى الصلاح، واتصلوا بكم اتصال الأولياء الناصرين، فذكروا لكم ما ربما استحسنته طباعكم واستصوبته قلوبكم، لكنهم لا يريدون إلا ضلالكم عن السبيل كما اختاروا لأنفسهم الضلالة، والله أعلم منكم بأعدائكم، وهم أعداؤكم، فلا يغرنكم ظاهر ما تشاهدون من حالهم، فإياكم أن تطيعوا أمرهم أو تصغوا إلى أقوالهم المزوقة وإلقاءاتهم المزخرفة وأنتم تقدرون أنهم أولياؤكم وأنصاركم، فأنتم لا- تحتاجون إلى ولايتهم الكاذبة ونصرتهم المرجوة، وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا، فأى حاجة مع ولايته ونصرته إلى ولايتهم ونصرتهم (" ۱).

ومنها قوله تعالى: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير) [البقرة: ۱۲۰]، قال فى الميزان ": أى أن هؤلاء ليسوا براضين عنك حتى تتبع ملتهم التى ابتدعوها بأهوائهم ونظموها بآرائهم، ثم أمر الله رسوله بالرد عليهم بقوله: (قل إن هدى الله هو الهدى)، أى أن الاتباع إنما هو لفرض الهدى، ولا هدى إلا هدى الله، أما غيره، وهو ملتكم، ليس بالهدى، فهى أهواؤكم ألبستموها لباس الدين وسميتموها باسم الملة (" ۲)، وقال ابن كثير ": وقوله تعالى: (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم... الآية) فيه تهديد ووعيد شديد للأمة من اتباع طريق اليهود والنصارى، بعد ما علموا من القرآن والسنة، والخطاب مع الرسول والأمر لأمته، وقد استدل كثير من الفقهاء بقوله: (حتى تتبع ملتهم) حيث أفرد الملة على أن الكفر كله ملة واحدة (" ۳).

---

(۱) الميزان: ۴ / ۳۶۳.

(۲) المصدر نفسه: ۱ / ۲۶۵.

(۳) تفسير ابن كثير: ۱ / ۱۶۳.

--- ... الصفحة ۲۷ ... ---

وبالجملة، حذر الله - تعالى - الأمة من تنظيمات أهل الكتاب، التى لها أهداف قريبة وأهداف بعيدة، والتى يحمل أعلامها الفرق المتعددة والطوائف المختلفة، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) [آل عمران: ۱۰۰]، قال المفسرون: يحذر - تبارك وتعالى - عباده المؤمنين من أن يطيعوا فريقا من أهل الكتاب، الذين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله، كما قال تعالى: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم) [البقرة: ۱۰۹]، وهكذا قال هاهنا: (إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) [آل عمران: ۱۰۰]، وفى آية أخرى قال تعالى: (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) [آل عمران: ۶۹].

وباختصار، فالقاعدة العريضة منهم ودوا لو يردون الذين آمنوا من بعد إيمانهم كفارا، وهناك فرق حملت أعلام هذه القاعدة وانطلقت رجاء تنفيذ هذا الهدف، وهناك طائفة من أهل الكتاب مهمتها إطفاء الأنوار رغبة منها فى أن تضل قافلة الذين آمنوا عن الطريق، والمعنى: أن الطائفة فى خدمة الفريق، والفريق فى خدمة القاعدة، وليس معنى هذا أن قاعدة أهل الكتاب خالية من العلماء الذين يبحثون عن الحقيقة، فهؤلاء أثر أقدامهم على الطريق، والإسلام لم يغلق أبوابه أمام الذين يريدون الاستبصار منهم فى الدين، وقد أمر الله - تعالى - بمجادلتهم بالتى هى أحسن، فقال فى آية محكمة: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم) [العنكبوت: ۴۶]، وقوله: (إلا- الذين ظلموا منهم) يعنى أهل الحرب، وذكر - تعالى - فى كتابه أن الذين قالوا إنهم من أتباع عيسى عليه السلام وعلى منهاج إنجيله، فيهم مودة للإسلام وأهله، وما ذاك إلا لما فى قلوبهم من الرقة والرحمة، ويوجد فيهم قسيسون، وهم خطباؤهم وعلماؤهم، ورهبانا، من صفتهم بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع والانقياد للحق واتباعه والإنصاف، وإذا سمعوا ما أنزل الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، ترى أعينهم تفيض

--- ... الصفحة ۲۸ ... ---

من الـدمع ممـا عرفوا من الحق، قال تعالى: (لتجـدن أقربهم مودة للـذين آمنوا الـذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسـين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون، وإذا سـمعوا مـا أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الـدمع ممـا عرفوا من الحق يقولون ربنـا آمنا فاكتبنا مع الشاهـدين، وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يـدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) [المائـدة: ۸۲ – ۸۴]، فهذا الصنف من النصـارى كان أول ظهوره بالحبشـة كالنجاشـى وأصـحابه، وهم المـذكورون فى قوله تعالى: (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشـعين لله) [آل عمران: ۱۹۹]، وهم الـذين قال الله فيهم: (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون، وإذا تتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) [القصص: ۵۲ – ۵۳]، ومنذ أيام النجاشى وعلى امتداد المسيرة الإسـلامية، لم تغلق الـدعوة أبوابها فى وجوه الـذين يريـدون الاسـتبصار فى الدين، لأن الله – تعالى – أمر رسوله الخاتم صـلى الله عليه وآله وسـلم أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة والموعظة الحسـنة، ليحذروا بأس الله تعالى، وأمره – تعالى – أن من احتاج من الناس إلى مناظرة وجدال، فليكن بالأسلوب الحسن برفق ولين وحسن خطاب.

فمن هـذه النصوص ومن غيرها نعلم أن الـدعوة الإلهية الخاتمة حذرت من اتباع أى مشـروع تقدمه الطوائف أو الفرق التى تهدف من وراء برامجهـا الصـد عن سبيـل الله، وفى الوقت نفسه فتحت الـدعوة أبوابهـا للباحثين عن الحقيقـة من أهل الكتاب لتقيم الحجـة عليهم وعلى غيرهم فى كل مكان وزمان..

--- ... الصفحة ۲۹ ... ---

الفصل الثانى: من وصايا الدعوة الخاتمة

أولا: ظل المنزلة الممدود

على امتداد المسـيرة الإسـرائيلية كان لشـجرة الأنبياء فيها علامات وبصـمات، وفى التوراة الحاضـرة يمكن للباحث أن يتبين نبوة هارون ومنزلته هو وبنيه من موسـى عليه السـلام، فـالتوراة تنص على وحى الله – تعـالى – لهـارون، وهنـا تكون النبوة، ولمـا كـان موسـى عليه السـلام هو رسول الله إلى بنى إسـرائيل وعليه أنزلت التوراة، فإن نبوة هارون أو وحى الله – تعالى – لهارون، كان يتعلق بتفسير الشريعة التى أنزلها الله – تعالى – على موسى عليه السلام، بمعنى:

أن التوراة أنزلها الله – تعالى – على موسـى، وأن تفسـير الشـريعة أوحى الله – تعالى – به إلى هارون عليه السلام، فكان هارون مشاركا لموسـى عليه السـلام فى تفسـير الشـريعة، وموسـى عليه السـلام منفردا عن هارون بتلقى التوراة من الله سـبحانه وتعالى، وهو قول الله – تعالى – فى القرآن حاكيا عن موسى قوله:

(واجعل لى وزيرا من أهلى، هارون أخى، اشدد به أزرى، وأشـركه فى أمرى) [طه: ۲۹ – ۳۲]، فالنص القرآنى يقول: إن موسى عليه السـلام سـأل ربه أن يجعـل له وزيرا من أهله، وأن يكون هـذا الوزير هارون أخاه، وسأله أن يشـركه فى أمره، والوزير فى لغـة العرب: الـذى يحمل ثقل الملك، وقيل: هو الذى يلتجئ إليه الملك فى آرائه وأحكامه، وقيل: هو الذى يعين الملك ويقويه (۱)، وفى التوراة الحاضـرة: كان هارون الكاهن الأكبر الذى يفسر الشريعة، والكاهن فى لسان العرب: هو من يقوم بأمر الرجل ويسعى فى حاجته، وقال: والعرب تسمى كل من يتعاطى علما دقيقا كاهنا (۲).

---

(۱) أنظر: لسان العرب: مادة: وزر، ص: ۴۸۲۴.

(۲) أنظر: المصدر نفسه، مادة: كهن، ص: ۳۹۵۰.

--- ... الصفحة ۳۲ ... ---

وسؤال موسى عليه السلام ربه – جل وعلا – أن يشرك هارون فى أمره، أى فى أمر يخص موسى، وهو تبليغ ما بلغه من ربه، فهذا هو الأمر الذى يخصه، وسأل ربه أن لا يشاركه فيه أحد سوى هارون، وقال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى: (واجعل لى وزيرا من أهلى... الآية "): وهذا أيضا سؤال من موسى عليه السلام فى أمر خارجى عنه، وهو مساعدة أخيه هارون له، وقوله: (اشدد به أزرى)، أى: ظهرى، وقوله: (وأشركه فى أمرى)، أى:

فى مشاورتى (" ۱).

هذا ما يتعلق بوزارة هارون ومساعدته موسى فى تبليغ الدين أو شئ من أجزائه، وموسى عليه السلام سأل ربه ذلك، لأن الأمر كثير الجوانب، متباعد الأطراف، فهو كان يخاف التكذيب مع ما معه من ضيق الصدر وعدم انطلاق اللسان، وكان على علم بفرعون وقومه وما هم عليه من الشوكة والقوة، وكان على علم بالانحطاط الفكرى وبجهل بنى إسرائيل وضعفهم، لهذا سأل ربه بعض الأمور التى كان يحتاجها فى رسالته لا فى نبوته، ومنها طلب الوزير، أما فى ما يتعلق بخلافة هارون لموسى عليه السلام فى قومه، فجاء فى قوله تعالى: (وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) [الأعراف: ۱۴۲]، قال ابن كثير ": استخلف موسى على بنى إسرائيل أخاه هارون، ووصاه بالإصلاح وعدم الافساد، وهذا تنبيه وتذكير، وإلا فهارون عليه السلام نبى شريف كريم على الله، له وجاهه وجلاله صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء (" ۲)، والاستخلاف لا يكون إلا فى غيبة، وكانت غيبة موسى عن بنى إسرائيل حين كان يفارقهم للميقات، وقوله لأخيه: (ولا تتبع سبيل المفسدين)، فيه أنه كان فى قومه يومئذ جمع من المفسدين يفسدون ويقلبون عليه الأمور، ويتربصون به الدوائر، فنهى موسى

---

(۱) تفسير ابن كثير: ۳ / ۱۴۷.

(۲) المصدر نفسه: ۲ / ۲۴۳.

أخاه أن يتبع سبيلهم فيشوشوا عليه الأمر، ويكيدوا ويمكروا به، فيتفرق جمع بنى إسرائيل ويتشتت شملهم، بعد تلك المحن التى كابدها هارون فى إحياء كلمة الاتحاد بينهم.

وبالجملة، كان هارون وزيرا لموسى عليهما السلام، وكان يساعده فى تبليغ الدين أو شئ من أجزائه، وكان يخلف موسى عليه السلام فى غيبته، ويحافظ على سبيل موسى عليه السلام من الذين يتربصون به، ليكون السبيل حجة على بنى إسرائيل وهم تحت سقف الامتحان والابتلاء، ويكون شاهدا على المفسدين على امتداد المسيرة كى يتبين الباحث عن الحقيقة خطاهم، وسبيل الأنبياء، فقد ذرأ الله ذرية آدم، لا يضره من خالفه أو من خذله أو من عاداه.

أما فى ما يتعلق بأبناء هارون عليه السلام، فلقد ذكرت التوراة الحاضرة، أن الله – تعالى – اصطفى أبناء هارون من بعده ليفسروا الشريعة لبنى إسرائيل، وعلى امتداد المسيرة الإسرائيلية بعث منهم الأنبياء والربانيون، وآخر الأنبياء الذين بعثوا من ذرية هارون، كان المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام، ولقد قلب بنو إسرائيل الأمر على أنبيائهم، وقتلوا بعضهم، وكذبوا البعض الآخر، وعندما جاؤوهم بما لا تهوى أنفسهم.

والدعوة الإلهية الخاتمة – على نبيها الصلاة والسلام – امتد ظلها من حيث انتهت ظلال أنبياء بنى إسرائيل، بمعنى: فى بداية الدعوة جعل الله قياس النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى موسى عليه السلام، وجعل قياس أمة النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى فرعون وقومه، قال تعالى: (إنا أرسلنا إليكم شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا، فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا) [المزمل: ۱۵ – ۱۶]، فبتدبر الآية، نجد أن دائرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقابلها دائرة موسى عليه السلام، ودائرة الأمة يقابلها دائرة فرعون، والقرآن عبر عن موسى بالرسول، وفى هذا إشارة إلى أن السبب الموجب لأخذ فرعون مخالفته أمر رسالة موسى لا موسى نفسه بما

أنه موسى، وإذا كان السبب هو مخالفة الرسالة، فيقابله تحذير الأمة من مخالفة رسالة محمد، لأن المخالفة تؤدى

--- ... الصفحة ۳۴ ... ---

إلى عذاب الأخذ الوبيل، قال ابن كثير فى تفسيره ": احذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذا عزيز مقتدر (" ۱).

كما جعل الله - تعالى - قياس أذى النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى أذى موسى عليه السلام، قال تعالى: (يا أيها آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) [الأحزاب: ۶۹]، قال ابن كثير: وفيه نهى للمؤمنين أن ينالوا من النبى صلى الله عليه وآله وسلم، أو يوصلوا إليه أذى، وقال تعالى مخبرا عن رسوله موسى عليه السلام أنه قال لقوله: (لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين) [الصف: ۵]، ولما كانت عقوبة الذين آذوا موسى عليه السلام وعدلوا عن الحق مع علمهم به، أن الله أزاغ قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان، فإن الله - تعالى - توعد الذين يؤذون النبى صلى الله عليه وآله وسلم باللعن فى الدنيا والآخرة، قال تعالى: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) [الأحزاب: ۵۷]، قال ابن كثير: والظاهر أن الآية عامة فى كل من آذاه بشئ، ومن آذاه فقد آذى الله، كما أن من أطاعه فقد أطاع الله.

ولما كان الناس يختبرون على امتداد المسيرة البشرية لينظر الله إلى عباده كيف يعملون، فإننا نجد موسى عليه السلام يبين معالم هذا الاختبار لبنى إسرائيل فى ما أخبر الله - تعالى - أنه قال لقومه: (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون) [الأعراف: ۱۲۹]، وهذه المعالم بينها الله - تعالى - لرسوله الخاتم فى قوله: (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين، ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون) [يونس: ۱۳ - ۱۴].

فالدعوة الإلهية ظلالها ممتدة، ودوائر الهدى فيها تشبه بعضها بعضا، والعذاب الذى توعد الله به الظالمين هناك من جنس العذاب الذى ينتظر

---

(۱) تفسير ابن كثير: ۴ / ۴۳۸.

--- ... الصفحة ۳۵ ... ---

الظالمين هنا، وعلى امتداد الدعوة الإلهية أمر الله عباده بأن لا يزكوا أنفسهم لأنه - سبحانه - أعلم بمن اتقى، وأنه يزكى من يشاء، وتحت سقف التزكية يختبر العباد، قال تعالى: (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا) [الفرقان: ۲۰]، قال فى الميزان ": أى أنا جعلنا بعض الناس لبعض فتنة يمتحنون بها فالرسل فتنة لسائر الناس يمتحنون بهم فيتميز بهم أهل الريب من أهل الإيمان، والمتبعون للأهواء من طلاب الحق، وقوله تعالى: (وكان ربك بصيرا) أى: عالما بالصواب فى الأمور، فيضع كل أمر فى الموضع المناسب له، ويجرى بذلك أتم النظام، فهدف النظام الإنسانى كمال كل فرد بقطعه طريق السعادة أو الشقاوة على حسب ما يستعد له ويستحقه، ولازم ذلك بسط نظام الامتحان بينهم، ولازمه ارتفاع التمايز بين الرسل وغيرهم (" ۱)، وقال ابن كثير فى تفسيره فى معنى الآية ": أى اختبرنا بعضكم ببعض وبلونا بعضكم ببعض لنعلم من يطيع ممن يعصى، ولهذا قال: (أتصبرون وكان ربك بصيرا)، أى: بمن يستحق أن يوحى إليه، كما قال تعالى: (الله أعلم حيث يجعل رسالته) [الأنعام: ۱۲۴]، ومن يستحق أن يهديه الله لما أرسلهم به ومن لا يستحق ذلك، وقال ابن إسحاق فى قوله: (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة)، أى: لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلى فلا يخالفون لفعلت، ولكنى قد أردت أن أبتلى العباد بهم وأبتليكم بهم (" ۲).

ولما كان الناس يختبرون بالأنبياء والرسل، فإنهم يختبرون أيضا بتلاميذ الأنبياء والرسل وحواريهم وأوصيائهم، ولقد تم اختبارهم بأبناء

هارون وبتلاميذ المسيح عليه السلام. ويشهد بذلك كتب التراجم والتواريخ والسير، والأمة الخاتمة لم تستثن من ذلك، ولقد قابلت دائرة هارون وبنيه فى الشريعة الموسوية، دائرة على بن أبى طالب وبنيه فى الشريعة المحمدية، ففى الحديث الصحيح روى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى بن أبى طالب ": أنت منى

---

(۱) الميزان: ۱۵ / ۱۹۴.

(۲) تفسير ابن كثير: ۳ / ۳۱۳.

--- ... الصفحة ۳۶ ... ---

بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى (" ۱)، وفى رواية ": أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست نبيا. إنه لا ينبغى أن أذهب إلا وأنت خليفتى فى كل مؤمن من بعدى (" ۲)، وروى أنه قيل لسفيان الثورى: حدثنى بأحسن فضيلة عندك لأمير المؤمنين على بن أبى طالب، فقال: حدثنى سلمة بن كهيل عن حجية عن على بن أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له:

"أنت منى بمنزلة هارون من موسى (" ۳)، وعن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى ": أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى، " قال سعيد بن المسيب:

فأحببت أن أشافه بها سعد بن أبى وقاص، فلقيت سعدا، فحدثته بما حدثنى عامر بن سعد، فقال سعد: أنا سمعته، فقلت: أنت سمعته؟ فوضع إصبعيه على أذنيه فقال: نعم، وإلا فاسكتا (أى اصمتا) (۴) وعن موسى الجهنى قال: دخلت على فاطمة بنت على، فقال لها رفيقى أبو سهل: كم لك؟

قالت: ست وثمانون سنة، قال: ما سمعت من أبيك شيئا؟ قالت: حدثتنى أسماء بنت عميس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى ": أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدى نبى (" ۵).

وحديث المنزلة حديث صحيح، رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى والحاكم وأحمد والطبرانى وغيرهم، وقال ابن كثير ": تقصى الحافظ ابن عساكر هذا الحديث فى ترجمة على بن أبى طالب فى تاريخه

---

(۱) البخارى، الصحيح: ۲ / ۳۰۰، مسلم، الصحيح: ۱۵ / ۱۷۴، الترمذى، الجامع الصحيح: ۵ / ۶۴۰.

(۲) رواه ابن أبى عاصم، وقال الألبانى: إسناده حسن، ورجاله ثقات، كتاب السنة: ۲ / ۵۶۵، وأحمد والحاكم، كنز العمال: ۱۱ / ۶۰۶، مستدرك الحاكم: ۳ / ۱۳۳، الفتح الربانى، شرح مسند الإمام أحمد: ۲۱ / ۲۰۴.

(۳) كنز العمال: ۱۳ / ۱۵۱.

(۴) رواه مسلم، الصحيح: ۱۵ / ۱۷۴.

(۵) أخرجه الإمام أحمد، وقال الهيثمى: رواه أحمد والطبرانى، ورجال أحمد رجال الصحيح، غير فاطمة بنت على وهى ثقة، الفتح الربانى: ۲۳ / ۱۲۹.

--- ... الصفحة ۳۷ ... ---

فأجاد وأفاد وبرز على النظراء والأشباه والأنداد (" ۱)، وقال الحافظ الكتانى:

"وحديث ": أنت منى بمنزلة هارون من موسى، " حديث متواتر، جاء عن نيف وعشرين صحابيا (" ۲)، وروى الحديث كل من: أبى سعيد الخدرى، وابن عباس، وابن عمر، وجابر بن سمرة، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، ومالك بن الحويرث، وسعد بن أبى وقاص،

وقيس بن جنادة، وعلى بن أبى طالب، وعمر بن الخطاب، وأم سلمة، وأسماء بنت عميس، وغيرهم (۳).

ولما كانت الدعوة الإلهية لبنى إسرائيل جعلت هارون وبنيه مع التوراة على خط واحد، فإن الدعوة الإلهية الخاتمة جعلت أهل البيت مع القرآن على خط واحد، فعن زيد بن أرقم قال ": قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتى، وأذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى (" ۴).

وعن زيد بن ثابت قال ": قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنى تارك فيكم خليفتين، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتى أهل بيتى، وإنهما لا يتفرقا حتى يردا على الحوض (" ۵)، وعن أبى سعيد قال ": قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنى تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله

---

(۱) البداية والنهاية، ابن كثير: ۷ / ۳۴۲.

(۲) نظم المتناثر فى الحديث المتواتر، الكتانى، ص ۱۹۵.

(۳) المصدر نفسه.

(۴) رواه مسلم، الصحيح: ۱۵ / ۱۷۹، أحمد والحاكم، الفتح الربانى: ۲۲ / ۱۰۴.

(۵) رواه أحمد، وقال الهيثمى: إسناده جيد، الزوائد: ۹ / ۱۹۳، الفتح الربانى: ۲۲ / ۱۰۵.

والطبرانى، كنز العمال: ۱ / ۱۸۶.

--- ... الصفحة ۳۸ ... ---

حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض (" ۱)، وعن حبيب بن أبى ثابت عن زيد بن أرقم قالا:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ": إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما (" ۲).

والعترة – كما جاء فى لسان العرب – هى: ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه، وعترة النبى صلى الله عليه وآله وسلم: ولد فاطمة البتول عليها السلام (۳)، وفى قوله ": إنى تارك فيكم الثقلين، " قال النووى ": سميا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل: لثقل العمل بهما" (۴).

وحديث الثقلين حديث صحيح، رواه أحمد والطبرانى عن زيد بن ثابت والطبرانى وأبو نعيم عن حذيفة بن أسيد، وابن أبى عاصم وأحمد والطبرانى وأبو يعلى عن أبى سعيد الخدرى، والترمذى والنسائى والحاكم عن زيد بن أرقم، وابن أبى شيبة والترمذى والنسائى والخطيب عن جابر، ومسلم عن زيد بن أرقم (۵).

فمنذ ذرأ الله ذرية آدم وهو – سبحانه – يزكى من يشاء، ويجعل بعض الناس لبعض فتنة يمتحنون بها، وعلى امتداد المسيرة الإسرائيلية امتحن الله – تعالى – بنى إسرائيل امتحانات شتى، ومنها امتحانهم بهارون وبنيه، ولم

---

(۱) رواه أحمد والترمذى، وقال: حديث حسن، والطبرانى، وقال المناوى: رجاله موثقون، الفتح الربانى: ۱ / ۱۸۶، كتاب السنة: ۲ / ۶۴۴.

(۲) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن غريب، الجامع: ۵ / ۶۶۳، وقال فى تحفة الأحوازى:

رواه مسلم من وجه آخر، التحفة: ۱۰ / ۲۹۰.

(۳) لسان العرب، ص ۲۷۹۶.

(۴) رواه مسلم، شرح النووى: ۱۵ / ۱۷۹.

(۵) أنظر: كنز العمال: ۱ / ۱۷۲، ۱۷۳، ۱۸۶، ۱۸۷، ۴ / ۴۳۵، ۵ / ۲۹۰، وكتاب السنة:

۲ / ۳۵۱، ۶۴۴، والبداية والنهاية: ۵ / ۲۰۹.

--- ... الصفحة ۳۹ ... --

يكن لموسى عليه السلام ولد من صلبه، وشاء الله أن يجعل امتداده فى أخيه هارون وبنيه من بعده، وكان هارون وبنوه ذروة سبط لاوى الذى منه موسى وهارون عليهما السلام. وبهم امتحن الله - تعالى - بقية الأسباط! وعلى امتداد المسيرة سفكت الدماء الزكية عندما جاء الهداة لبنى إسرائيل بما لا تهوى أنفسهم.

وعندما بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم امتحن الله أمته بامتحانات شتى بعد أن أقام عليهم الحجة، ومنها الامتحان بعترة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وشاء الله أن يجعل امتداد النبى فى ابنته فاطمة وعلى بن أبى طالب، ولما كانت منزلة على من النبى صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة هارون من موسى عدا النبوة فإن الدعوة الخاتمة أقامت الحجة فى أكثر من موضع على مكانة على بن أبى طالب من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لتعليم القافلة دوائر التحذير فلا تقترب منها على امتداد المسيرة.

ومن الأحاديث التى تبين مكانة على بن أبى طالب من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أن الله - تعالى - جعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم خير الناس نفسا، وجعل على بن أبى طالب كنفس النبى صلى الله عليه وآله وسلم، قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم": إن الله خلق الخلق، فجعلنى فى خيرهم فرقة، ثم جعلهم فرقتين فجعلنى فى خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتا، فجعلنى فى خيرهم بيتا، وخيرهم نفسا (" ۱)، وعن جابر بن عبد الله أنه قال فى قوله تعالى: (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) [آل عمران: ۶۱]:

قدم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم العاقب والطيب، فدعاهما إلى الملاعنة فواعداه على أن يلاعناه الغداة، فغدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ بيد على وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما، فأبيا أن يجيبا وأقرا له بالخراج، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والذى بعثنى بالحق، لو قالوا: لا، لأمطر عليهم الوادى نارا،

---

(۱) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح، الجامع: ۵ / ۵۸۴، ورواه أحمد، الفتح الربانى:

۲۱ / ۲۶۶.

--- ... الصفحة ۴۰ ... --

قال جابر: وفيهم نزل قوله تعالى: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم... الآية)، قال جابر: (وأنفسنا وأنفسكم) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى بن أبى طالب، و (أبناءنا) الحسن والحسين، و (نساءنا) فاطمة، قال ابن كثير: رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ورواه أبو داود الطيالسى عن شعبة عن المغيرة (۱).

وجعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم على بن أبى طالب على ذروة العشيرة الأقربين، كما وضع موسى هارون على ذروة الأسباط، وروى عن على بن أبى طالب أنه قال ": لما نزل قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين) [الشعراء: ۲۱۴] جمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم من أهل بيته فاجتمع ثلاثون، فأكلوا وشربوا، فقال لهم: من يضمن عنى دينى ومواعيدى ويكون معى فى الجنة، ويكون خليفتى فى أهلى، قال رجل: يا رسول الله، أنت كنت بحرا! من يقوم بهذا؟ ثم قال الآخر، فعرض النبى صلى الله عليه وآله وسلم هذا

على أهل بيته واحدا واحدا، فقال على:

أنا (" ٢)، وفى رواية: قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم ": فأيكم يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبى ووارثى، فلم يقم إليه أحد، قال على: فقمت إليه، وكنت من أصغر القوم، فقال: اجلس، ثم قال مرة أخرى، كل ذلك أقوم إليه فيقول لى: اجلس، حتى كان فى الثالثة ضرب بيده على يدى (" ٣)، وفى رواية: قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم ": إنى - والله - ما أعلم شابا فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرنى على أمرى هذا، فقال على: أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتى، وقال: إن هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا وأطيعوا (۴).

---

(۱) تفسير ابن كثير: ۱ / ۳۷۰.

(۲) رواه أحمد، وقال الهيثمى: رجاله ثقات، الفتح الربانى: ۲۳ / ۱۲۲، ورواه ابن جرير وصححه، والطحاوى والضياء بسند صحيح، كنز العمال: ۱۳ / ۱۲۹.

(۳) رواه أحمد وابن جرير والضياء بسند صحيح، كنز العمال: ۱۳ / ۱۷۵.

(۴) رواه ابن إسحاق وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقى، كنز العمال:

۱۳ / ۱۳۳.

--- ... الصفحة ۴۱ ... --

وجعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم على بن أبى طالب على ذروة المهاجرين والأنصار، عن عمر بن عبد الله عن أبيه عن جده: إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم، آخى بين الناس وترك عليا حتى بقى آخرهم لا يرى له أخا، فقال: يا رسول الله، آخيت بين الناس وتركتنى، قال: ولم ترانى تركتك؟ تركتك لنفسى، أنت أخى وأنا أخوك، فإن ذكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يدعيها بعد إلا كذاب (۱)، وروى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى ": أنت أخى فى الدنيا والآخرة (" ٢). قال ابن كثير": كان المشايخ يعجبهم هذا الحديث لكونه من رواية أهل الشام (" ٣).

وجعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم بيت على بن أبى طالب ذروة البيوت، فعن زيد بن أرقم قال ": كان لنفر من أصحاب رسول الله أبواب شارعة فى المسجد، فقال النبى يوما: سدوا هذه الأبواب إلا باب على، فتكلم فى ذلك الناس، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنى أمرت بسد هذه الأبواب إلا باب على، وقد قال فيه قائلكم، وإنى - والله - ما سددت شيئا ولا فتحته، ولكن الله أمر بشئ فاتبعته (" ۴)، وفى رواية، قال صلى الله عليه وآله وسلم ": ما أخرجتكم من قبل نفسى، ولا أنا تركته، ولكن الله أخرجكم وتركه، وإنما أنا عبد مأمور، ما أمرت به فعلت، إن أتبع إلا ما يوحى إلى (" ۵).

وهذا الحديث رواه جمع من الصحابة، منهم: سعد بن أبى وقاص، وزيد بن أرقم، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وجابر بن سمرة، وأنس بن مالك، وبريدة الأسلمى، وعلى بن أبى طالب، وقال السيوطى:

ثبت بهذه الأحاديث الصحيحة، بل المتواترة أنه صلى الله عليه وآله وسلم منع فتح باب شارع فى المسجد ولم يأذن لأحد ولا لعمه العباس ولا لأبى بكر، إلا لعلى، وقال

---

(۱) رواه أحمد وأبو يعلى، كنز العمال: ۱۳ / ۱۴۰، تحفة الأحوازى: ۱۰ / ۲۲۲.

(۲) رواه الترمذى والحاكم وصححه، كنز العمال: ۱۱ / ۵۹۸.

(۳) البداية والنهاية: ۷ / ۳۳۶.

(۴) رواه أحمد، وقال الهيثمى: رجاله ثقات، الزوائد: ۹ / ۱۱۴، الفتح الربانى: ۲۳ / ۱۱۸، والحاكم والضياء بسند صحيح، كنز: ۱۱ /

۵۹۸.

(۵) رواه البزار، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، الزوائد: ۹ / ۱۱۵، والطبراني، كنز العمال: ۱۱ / ۶۰۰.

--- ... الصفحة ۴۲ ... --

الحافظ الكتاني ": وقد أورد ابن الجوزي في الموضوعات حديث سد الأبواب مختصرا على بعض طرقه، وفي هذا قال الحافظ ابن حجر: وقد أخطأ ابن الجوزي في ذلك شنيعا لرده الأحاديث الصحيحة (" ۱).

وجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب على ذروة الجنود، عن أبي هريرة قال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر ": لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله، " وفي رواية عن مسلم ": رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، " قال عمر بن الخطاب ": ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب، فأعطاه إياها.. وقال امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك، فسار على شيئا ثم وقف ولم يلتفت، وصرخ: يا رسول الله، على ماذا أقاتل الناس؟

قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا ـ إله إلا ـ الله وأن محمدا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا ـ بحقها، وحسابهم على الله (" ۲).

ومن أحاديث الذروة أيضا ما روى عن جابر بن عبد الله قال ": دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا يوم الطائف فانتجاه فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما انتجيته ولكن الله انتجاه (" ۳)، وفي رواية:

"قال أبو بكر: يا رسول الله: قد طالت مناجاتك عليا، فقال: ما أنا انتجيته ولكن الله انتجاه (" ۴)، قال في تحفة الأحوازي ": أي أني بلغت عن الله ما أمرني أن أبلغه إياه، فحينئذ انتجاه الله لا ـ انتجيته، " وقال الطيبي ": كان ذلك أسرارا إلهية وأمورا غيبية جعله من خزانها (" ۵).

---

(۱) نظم المتناثر في الحديث المتواتر، ص: ۱۹۵.

(۲) رواه مسلم، الصحيح: ۱۵ / ۱۷۶، وأحمد، الفتح الرباني: ۲۳ / ۱۳۲، والبخاري عن سلمة بن الأكوع، الصحيح: ۲ / ۱۶۶، والحاكم عن جابر، المستدرك: ۳ / ۳۸.

(۳) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن، الجامع: ۵ / ۶۳۹، وابن كثير، البداية والنهاية: ۷ / ۳۵۷.

(۴) رواه الطبراني عن جنوب بن ناجية، كنز العمال: ۱۳ / ۱۳۹.

(۵) تحفة الأحوازي: ۱۰ / ۲۳۱.

--- ... الصفحة ۴۳ ... --

ومن أحاديث الذروة، ما روى عن جابر، قال ": لما سأل أهل قباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يبني لهم مسجدا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ليقم بعضكم فيركب الناقة، فقام أبو بكر فركبها، فلم تنبعث فرجع فقعد، فقام عمر فركبها فحركها فلم تنبعث فرجع فقعد، فقام علي، فلما وضع رجله في غرز الركاب وثبت به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي ارخ زمامها، وابنوا على مدارها فإنها مأمورة (" ۱).

وعلى ضوء ما ذكرنا من الأحاديث الصحيحة، تشرق منزلة علي بن أبي طالب من رسول الله داخل أحياء قريش، فهو بين العشيرة الأقربين أخو النبي ووصيه وخليفته، وهو بين المهاجرين والأنصار عبد الله وأخو رسول الله لا يدعيها بعد إلا كذاب، وبابه بين الأبواب هو الباب المفتوح، وعلم الجميع أن الله أخرجهم وتركه، وأن النبي في هذا مأمور، وما أمر به فعله إن يتبع إلا ـ ما يوحى إليه، وفي ميادين القتال علم الخاص والعام أن عليا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وعلموا أن الله انتجاه، ويوم بناء المسجد علموا أن الناقة

مأمورة، وعلموا أن الكتاب والعترة لا يفترقا حتى يردا على الحوض، وأن العترة فى صلب على وفاطمة عليهما السلام، لقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم.. ": على أصلى (".. ٢).

وبين إشراق منزلة على من النبى صلى الله عليه وآله وسلم وبين منزلة هارون من موسى عليهما السلام، يمتد ظلال الدعوة الإلهية، وتحت هذا الظلال تسير الأمة الخاتمة بمنهجها المهيمن على جميع المناهج، وقد حذرهم الله - تعالى - من السلوك فى طريق الفراعنة، بعد أن جعل قياس النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى موسى، وقياس الأمة إلى فرعون وقومه (٣)، وبعد أن حذرهم من أن يكونوا كالذين آذوا موسى (۴)، وبعد أن علموا أن الله يزكى من يشاء، ويجعل بعض الناس لبعض فتنة يمتحنون بها.

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير، كنز العمال: ١٣ / ١٣٩.

(٢) رواه الطبرانى والضياء بسند صحيح، كنز العمال: ١٣ / ۶٠٢.

(٣) المزمل: ١٥ - ١۶.

(۴) الأحزاب: ١٩.

--- ... الصفحة ۴۴ ... ---

وعلى طريق المنزلة رويت أحاديث صحيحة، يرى فيها موقع الذروة الذى يستقيم مع موقع المنزلة، وسنذكر بعض هذه الأحاديث فى موضعها.

ثانيا: أضواء على المنزلة العالية

[تمه ?د]

قامت الدعوة الإلهية على امتداد المسيرة البشرية، بمخاطبة الإنسان الذى يسلك طريقها، وإرشاده إلى ما فيه سعادته، وحذرت من الذين يتلبسون بالدين، لأن مهمة النفاق فى ديار الذين آمنوا لا تنفصل عن مهمة الشيطان الذى اعتمد فى برنامجه القعود على الصراط المستقيم: (قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم) [الأعراف: ١۶]، وتيار الصد عن سبيل الله اعتمد على المنافقين فى حفر الحفر العديدة، التى على امتداد مسيرة الذين آمنوا، ومن خلال هذا الحفر رفعت الأعلام العديدة، التى تقوم برامجها بالتعتيم على الفطرة، والقافلة الإسرائيلية لم تسقط فى مستنقع عبادة العجول نتيجة لغزوها من الخارج، وإنما سقطت أولا من الداخل، على أيدى الذين يجلسون تحت خيامها ويتلبسون بالدين.

والدعوة الإلهية الخاتمة بينت أن المنافقين يلقون الناس بالأيمان الكاذبة الآثمة، ليصدقوا ما يقولون، فيغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم، ويقتدى بهم فى ما يفعلون، ويصدقهم فى ما يقولون، فيحصل بهذا ضرر كبير وبينت الدعوة أن منهم أصحاب أشكال حسنة وألسنة ذى فصاحة، وإذا سمعهم السامع يصغى إلى قولهم لبلاغتهم، ولهذا قال تعالى: (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) [المنافقين: ۴]، وقال تعالى: (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) [النساء: ١۴۵].

ولقد وصفهم القرآن بأوصاف، منها أنهم رجس، قال تعالى: (إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) [التوبة: ٩۵]، فهم فى دائرة الخبث والتنجس نتيجة لما تحتويه بواطنهم واعتقاداتهم، والذين فى قلوبهم مرض ويتلبسون بالدين الخاتم ورثوا قلوب الذين سبقوهم من بنى إسرائيل

--- ... الصفحة ۴۵ ... ---

وعقولهم، فإذا كان الذين كفروا من بنى إسرائيل لا يقبلون إلا ما يوافق أهواءهم، فإن المنافقين إذا سمعوا آية من كتاب الله زادتهم

رجسا إلى رجسهم، قال تعالى: (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون، وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) [التوبة: ۱۲۴ - ۱۲۵]، قال المفسرون: (زادتهم رجسا إلى رجسهم) أى: زادتهم شكا إلى شكهم وريبا إلى ريبهم، وهذا من جملة شقائهم، أن ما يهدى القلوب يكون سببا لضلالهم ودمارهم، كما أن سيئ المزاج لو غذى بما غذى به لا يزيده إلا خبالا ونقصا.

ولأن تيار النفاق لا يزداد إلا رجسا، ولأنهم أصحاب السنة، وإذا سمعهم السامع أصغى إلى قولهم لبلاغتهم، ولأن برنامج الصد عن سبيل الله إذا تلبس بالدين كان أشد خطرا على الدعوة، فإن الدعوة الخاتمة قامت بعزل هذا التيار عن ساحتها، وأقامت حجتها بطائفة الحق، وتحت سقف الامتحان والابتلاء تسير القافلة، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا.

وطائفة الحق من خصائصها أن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وبهذه الصفة كانوا مع كتاب الله، ولن ينفصلا حتى يردا على حوض النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ومعنى أنهم مع كتاب الله أنهم أعلم الناس بكتابه، وهم أمان للأمة من الوقوع فى دائرة التأويل الخاطئ له، وخاصة الآيات المتشابهة، وذلك لأن تيار الذين فى قلوبهم زيغ يتخذ من المتشابه حقلا له ابتغاء الفتنة، قال تعالى: (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب) [آل عمران: ۷]، قال المفسرون:

(فأما الذين فى قلوبهم زيغ) أى: ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل (فيتبعون ما تشابه منه) أى: إنما يأخذون منه بالمتشابه الذى يمكنهم أن

--- ... الصفحة ۴۶ ... ---

يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه، لأنه رافع لهم وحجة عليهم، ولهذا قال تعالى: (ابتغاء الفتنة) أى: الإضلال لأتباعهم إيهاما لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهو حجة عليهم لا لهم، قوله تعالى: (وابتغاء تأويله) أى: تحريفه على ما يريدون.

ولأن تيار الذين فى قلوبهم زيغ والذين فى قلوبهم مرض يتلبس بالدين ويجلس فى خيام القافلة، أقام الله الحجة بالكتاب وبالعترة التى لا يضرها من عاداها أو من خذلها أو من خالفها، لأنها شعاع يهدى، والله - تعالى - ينظر إلى عباده كيف يعملون، وتطهير أهل البيت والشهادة لهم بالعلم والعمل، والتحذير من مخالفتهم، وغير ذلك، وردت فيه أحاديث صحيحة، سنقدمها ونقابلها بما فى منزلة هارون من موسى عليهما السلام.

مقام التطهير

قال تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) [الأحزاب: ۳۳]، قال ابن عباس: (يذهب عنكم الرجس) أى عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا، وقال الأزهرى: الرجس: اسم لكل مستقذر من كل عمل، وقال ابن حجر: والمعنى: التطهير من الأرجاس والأدناس ونجاسة الآثام (۱).

وروى مسلم عن عائشة - رضى الله عنها - قالت ": خرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم غداة، وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن على فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء على فأدخله، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) [الأحزاب: ۳۳ ("] ۲) وروى عن عمر بن أبى سلمة أنه قال: لما نزلت هذه

---

(۱) أنظر: الفتح الربانى: ۱۸ / ۲۳۸.

(۲) رواه مسلم، الصحيح: ۱۵ / ۱۹۴، والحاكم، المستدرک: ۳ / ۱۴۷.

--- ... الصفحة ۴۷ ... ---

الآية: (إنما يريد الله...) دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة وحسنا وحسينا، فجللهم بكساء وعلى خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال ": اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت أم سلمة رضى الله عنها:

وأنا معهم يا نبى الله، قال: أنت على مكانك وأنت على خير (" ۱)، وعن شداد بن عمار قال ": دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا عليا - رضى الله عنه - فشتموه، فشتمته معهم، فلما قاموا، قال لى: شتمت هذا الرجل؟ قلت: قد شتموه فشتمته معهم، قال: ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قلت: بلى، قال: أتيت فاطمة - رضى الله عنها - أسألها عن على - رضى الله عنه -، فقالت: توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه على وحسن وحسين - رضى الله عنهم - آخذا كل واحد منهما بيده حتى دخل، فأدنى عليا وفاطمة - رضى الله عنهما - وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسنا وحسينا، كل واحد منهما على فخذه، ثم لف عليهم كساءه، ثم تلا صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) [الأحزاب: ۳۳]، وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتى وأهل بيتى أحور (" ۲)، وعن أبى الحمراء قال: رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا طلع الفجر جاء إلى باب على وفاطمة - رضى الله عنهما - فقال ": الصلاة الصلاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (" ۳)، وعن أنس بن مالك قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يمر بباب فاطمة - رضى الله عنها - ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر، يقول ": الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (" ۴).

---

(۱) رواه الترمذى، الجامع: ۵ / ۳۵۱، وابن جرير والطبرانى وابن مردويه، تحفة الأحوازى:

۹ / ۹۷، وابن كثير فى التفسير: ۳ / ۴۸۵.

(۲) قال ابن كثير: رواه الإمام أحمد وابن جرير، التفسير: ۳ / ۴۸۳.

(۳) قال ابن كثير: رواه ابن جرير، المصدر نفسه.

(۴) قال ابن كثير: رواه الإمام أحمد، المصدر نفسه.

--- ... الصفحة ۴۸ ... ---

وحديث الكساء وردت فيه روايات جمة تزيد على سبعين حديثا رواها:

أم سلمة، وعائشة، وأبو سعيد الخدرى، وسعد بن أبى وقاص، وواثلة، وأبو الحمراء، وابن عباس، وثوبان، وعبد الله بن جعفر، وعلى، والحسين بن على.

والمتدبر فى حديث الكساء يجد أن أحداثه وقعت فى أكثر من مكان، وقعت فى بيت أم سلمة، وفى بيت عائشة، وفى بيت فاطمة، وأمام أكثر من واحد، ويجد أيضا أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان ينادى عند بيت فاطمة وقت صلاة الفجر لمدة ستة أشهر، وفى رواية سبعة أشهر، وتكرار المشهد واستمرار النداء طيلة هذه المدة، يوحى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يقيم بهذا الحجة على كل من سمع ورأى وصلى فى مسجده، بأن هؤلاء هم أهل البيت، وكان - عليه الصلاة والسلام - إذا أراد أن يثبت أمرا من الأمور فى ذاكرة من حوله، يكرر هذا الأمر من ثلاث إلى عشر مرات، ووضح ذلك فى روايات عديدة حملت تحذيرات مما يستقبل الناس من أحداث، ينتج عنها ما ليس لله فيه رضا.

وإذا كان دعاء الرسول لمن تحت الكساء وتلاوته صلى الله عليه وآله وسلم لآية التطهير، يعطى للناس مفهوم إذهاب الرجس، والتطهير لمن تحت الكساء - عليهم السلام - فإن الدعوة الإلهية لبنى إسرائيل أعطت لهم المفهوم نفسه، ولكن بطريقة تستقيم مع الشريعة فى

هـذا الوقت، جاء فى العهـد القـديم ": قال الرب لموسـى: وتقدم هارون وبنيه إلى باب خيمة الاجتماع، وتغسـلهم بماء، وتلبس هارون الثياب المقدسة، وتمسحه وتقدسه ليكهن لى، وتقدم بنيه وتلبسهم أقمصة، وتمسحهم كما مسحت أباهم ليكهنوا لى (" ۱).

حكام العلم

إن العلم بالله هو ذروة كل العلوم وهو أشـرف العلوم، لأن الله هو أشـرف معلوم على الإطلاق، ولأن العلم بالله من أشق العلوم وأبعـدها منالا، لطف الله بعباده وباح - سبحانه - بالعلم الشريف لأنبيائه ورسله ومن ارتضاه

---

(۱) سفر الخروج: ۴ / ۱۱ - ۱۶.

من عباده، ليسوقوا الناس إلى صـراط الله العزيز الحميد، ويقيموا الحجة على كل سـمع وكل بصر وكل فؤاد، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة.

روى عن الإمـام على أنه قـال ": إن أولى النـاس بالأنبيـاء أعلمهم بمـا جـاؤوا به، " ثم تلا قوله تعالى: (إن أولى الناس بإبراهيم للـذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين) [آل عمران: ۶۸] (۱)، وروى عن مكحول، قال ": لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم قوله تعالى: (وتعيها أذن واعية) [الحاقة: ۱۲]، قال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم ": سألت ربى أن يجعلها أذن على، " فكان على يقول: ما سـمعت من رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم شيئا قط فنسيته (" ۲)، وعن ابن مرة الأسلمى قال ":: قال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم لعلى ": إنى أمرت أن أدنيـك ولا أقصـيك وأن أعلمك وأن تعى، وحق لك أن تعى، " فنزلت هـذه الآية: (وتعيها أذن واعية) [الحاقة: ۱۲] (۳)، وعن أبى الطفيـل قال ": قال على: سـلونى عن كتاب الله، فإنه ليس من آيـة إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، فى سهل أم فى جبل (" ۴)، وعن سليمان الأحمس، قال ": قال على:

إن ربى وهب لى قلبا عقولا ولسانا ناطقا (" ۵).

وفى قوله تعالى: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنـار موعـده فلا تـك فى مريـة منه إنه الحق من ربـك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون، ومن أظلم ممن افترى على الله كـذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) [هود:

۱۷ - ۱۸]، روى عن على بن أبى طالب أنه قال ": قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(۱) رواه اللالكائى، كنز العمال: ۱ / ۳۷۹.

(۲) رواه ابن أبى حـاتم وابن جرير، تفسـير ابن كـثير: ۴ / ۴۱۳، ورواه الضـياء بسـند صـحيح وابن مردويه وأبو نعيم، كنز العمال: ۱۳ / ۱۷۷.

(۳) رواه ابن أبى حاتم وابن جرير، تفسير ابن كثير: ۴ / ۴۱۳.

(۴) رواه ابن سعد، الطبقات الكبرى: ۲ / ۳۳۸.

(۵) المصدر نفسه.

(أفمن كان على بينـة من ربه) أنا، (ويتلوه شاهـد منه) على (" ۱)، وعن على أنه قـال ": ما من رجل من قريش إلا نزلت فيه طائفـة من القرآن، فقال له رجل: ما نزل فيك؟ قال: أما تقرأ سورة هود: (أفمن كان على بينـة من ربه ويتلوه شاهـد منه) رسول الله صـلى الله عليه

وآله وسلم على بينة من ربه، وأنا شاهد منه (" ٢)، وقال صاحب الميزان: والظاهر أن المراد بهذا الشاهد بعض من أيقن بحقية القرآن، وكان على بصيرة إلهية من أمره، فآمن به عن بصيرة، وشهد بأنه حق منزل من عند الله تعالى، كما يشهد بالتوحيد والرسالة، فإن شهادة الموقن البصير على أمر تدفع عن الإنسان مرية الاستيحاش وريب التفرد فإن الإنسان إذا أذعن بأمر وتفرد فيه، ربما أوحش التفرد فيه إذا لم يؤيده أحد فى القول به، أما إذا قال به غيره من الناس وأيد نظره فى ذلك، زالت عنه الوحشة وقوى قلبه وارتبط جأشه، وقد احتج - تعالى - بما يماثل هذا المعنى فى قوله: (قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم) [الأحقاف: ١٠]، وعلى هذا فقوله: (يتلوه) من التلو لا من التلاوة، والضمير فيه راجع إلى (من) أو إلى (بينة) باعتبار أنه نور أو دليل، ومآل الوجهين واحد، فإن الشاهد الذى يلى صاحب البينة يلى بينته كما يلى نفسه، والضمير فى قوله (منه) راجع إلى (من) دون قوله:

(ربه) وعدم رجوعه إلى البينة ظاهر، ومحصل المعنى: من كان على بصيرة إلهية من أمر، ولحق به من هو من نفسه، فشهد على صحة أمره واستقامته.

وعلى هذا الوجه ينطبق ما ورد فى الروايات أن المراد بالشاهد على بن أبى طالب، إن أريد به أنه المراد بحسب انطباق المورد، لا بمعنى الإرادة الاستعمالية، وقوله تعالى: (ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة) راجع إلى الموصول أو إلى البينة على حد ما ذكرناه فى ضمير (يتلوه)، والجملة حال بعد حال، أى: أفمن كان على بصيرة إلهية ينكشف له بها أن القرآن حق

---

(١) رواه ابن مردويه بإسنادين، كنز العمال: ٢ / ۴۳۹.

(٢) رواه ابن مردويه وابن أبى حاتم وأبو نعيم، كنز العمال: ٢ / ۴۳۹.

--- ... الصفحة ۵۱ ... ---

منزل من عند الله، والحال أن معه شاهدا منه يشهد بذلك عن بصيرة، والحال أن هذا الذى هو على بينة سبقه كتاب موسى إماما ورحمة، فليس ما عنده من البينة ببدع من الأمر غير مسبوق بمثل ونظير، بل هناك طريق مسلوك من قبل يهدى إليه كتاب موسى، وقد ذكر الله - تعالى - كتاب موسى بالإمام والرحمة فى موضع آخر، وهو قوله تعالى: (ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) [الأحقاف: ١٢].

وإذا كان صدر الآية، وهو قوله تعالى: (ويتلوه شاهد منه)، قد ورد فى تفسيره أن المراد بالشاهد على بن أبى طالب، فإن قوله تعالى: (ومن قبله كتاب موسى إماما) يرى فى ظلاله منزلة هارون من موسى عليهما السلام، لأن موسى سأل ربه - جل وعلا - أن يؤيده بهارون ليشهد له شهادة الموقن البصير على أن الذى جاء به هو من عند الله، وهو قوله - تعالى - حاكيا عن موسى قوله: (وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى إنى أخاف أن يكذبون) [القصص: ٣۴]، قال ابن كثير ": سأل ربه أن يرسل معه هارون وزيرا ومعينا ومقويا لأمره، يصدقه فى ما يقول ويخبر به عن الله تعالى، لأن خبر الاثنين أنجح فى النفوس من خبر الواحد" (١)، ويمكن القول: إن الآية الكريمة يرى فى ظلالها المنزلتان، منزلة على بن أبى طالب وهو من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومنزلة هارون وهو من موسى عليهما السلام.

ومن الآيات التى تلقى بظلالها على منزلة على من رسول الله قوله تعالى: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) [الرعد: ٧]، وروى عن على أنه قال:

"رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنذر، وأنا الهادى (" ٢)، وفى لفظ ": والهادى رجل من بنى هاشم يعنى نفسه، " وروى لما نزلت الآية، وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدر على وقال ": أنا المنذر، وأومأ بيده إلى منكب على وقال: أنت

---

(۱) تفسير ابن كثير: ۳ / ۳۸۸.

(۲) رواه ابن أبى حاتم، كنز العمال: ۲ / ۴۴۱.

--- ... الصفحة ۵۲ ... --

الهادى يا على، بك يهتدى المهتدون من بعدى (" ۱)، وروى عن الجنيد أنه قال ": الهادى هو على بن أبى طالب (" ۲).

وبالجملة، روى فى حديث صحيح أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة رضى الله عنها ": إنى زوجتك أقدم أمتى سلما، وأكثرهم علما، وأعظمهم حلما (" ۳)، وروى عن ابن عباس أنه قال ": أقضاكم على (" ۴)، وعن ابن مسعود أنه قال ": كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة على (" ۵).

بعد وضوح منزلة على بن أبى طالب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على امتداد عهد البعثة بدأ النبى صلى الله عليه وآله وسلم يمهد الساحة لإعلان ولاية على بن أبى طالب، ومن ذلك قوله لعلى ": أنت ولى فى كل مؤمن بعدى (" ۶)، وقوله لبريدة الأسلمى عندما جاءه يشكو عليا ": فإنه منى وأنا منه، وهو وليكم بعدى، وإنه منى وأنا منه، وهو وليكم بعدى (" ۷)، وراوى هذا الحديث هو ابن بريدة، قال فى الفتح الربانى ": أقسم ابن بريدة أنه تلقى هذا الحديث من والده بريدة مباشرة ليس بينه وبينه واسطة، وهو يفيد أن والده تلقاه من النبى صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة بغير واسطة، يشير بذلك إلى علو السند (" ۸).

---

(۱) الفتح الربانى: ۱۸ / ۱۸۵.

(۲) المصدر نفسه، تفسير ابن كثير: ۲ / ۵۰۱.

(۳) رواه الإمام أحمد، وقال الهيثمى: رجاله ثقات، الزوائد: ۹ / ۱۰۱، الفتح الربانى: ۲۳ / ۱۳۳، وابن جرير وصححه عن على، كنز العمال: ۱۳ / ۱۱۴، والخطيب عن بريدة، كنز العمال:

۱۳ / ۱۳۵، والطبرانى عن معقل بن يسار، كنز العمال: ۱۱ / ۶۰۵.

(۴) رواه البغوى فى شرح السنة، والبخارى فى التفسير، وأبو نعيم، كشف الخفاء: ۱ / ۱۸۴.

(۵) رواه الحاكم وصححه، كشف الخفاء: ۱ / ۱۸۴.

(۶) رواه أحمد، وقال الهيثمى: رواه أحمد والطبرانى، ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبى بلج وهو ثقة وفيه لين، الفتح الربانى: ۲۳ / ۱۱۶، وقال ابن كثير: رواه أبو داود الطيالسى، البداية:

۷ / ۳۴۶، وصححه الألبانى، الصحيحة: ۵ / ۲۶۳.

(۷) رواه أحمد، وقال فى الفتح: رواه الترمذى باختصار والبزار باختصار وفيه الأجلح الكندى وثقه ابن معين وبقية رجال أحمد رجال الصحيح، الفتح الربانى: ۲۱ / ۲۱۴.

(۸) الفتح الربانى: ۲۱ / ۲۱۴.

--- ... الصفحة ۵۳ ... --

وعندما جاء العام العاشر الهجرى، خرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى حجة الوداع، روى عن جابر بن عبد الله أنه قال ": رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حجته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول:

أيها الناس، إنى تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتى أهل بيتى (" ۱)، وروى عن يحيى بن آدم، وكان قد شهد حجة الوداع، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ": على منى وأنا منه، ولا يؤدى عنى إلا أنا أو على (" ۲).

وبعد أن أدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المناسك، وعند عودته إلى المدينة، وقف فى غدير خم، وهو مكان يقع على الطريق بين مكة والمدينة، على بعد ثلاثة أميال من الجحفة، وروى عن زيد بن أرقم أنه قال ": لما رجع سول الله صلى الله عليه وآله

وسلم من حجة الوداع، فنزل غدير خم أمر بدوحات فقممن، ثم قام فقال: كأنى قد دعيت فأجيب، إنى قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، تاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، فانظروا كيف تخلفونى فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض، ثم قال: إن الله مولاى، وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد على فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، " قيل لزيد بن أرقم:

أأنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: ما كان فى الدوحات أحد إلا قد رآه بعينه وسمعه بأذنه (" ۳).

وعن عائشة بنت سعد قالت ": سمعت أبى يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخذ بيد على فخطب ثم قال: أيها الناس، إنى وليكم، قالوا:

---

(۱) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن، الجامع: ۵ / ۶۶۲، والنسائى، كنز العمال:

۱ / ۱۷۲.

(۲) رواه أحمد، الفتح الربانى: ۲۳ / ۱۲۱، والترمذى وقال: حديث حسن، الجامع: ۵ / ۶۳۶، وصححه الألبانى، الصحيحة: ۵ / ۶۳۲.

(۳) رواه ابن جرير عن زيد بن أرقم وعن أبى سعيد الخدرى، كنز العمال: ۱۳ / ۱۰۴، والنسائى، البداية: ۵ / ۲۰۹.

--- ... الصفحة ۵۴ ... ---

صدقت، فرفع يد على فقال: هذا وليى والمؤدى عنى، وإن الله مولى من والاه ومعادى من عاداه (" ۱).

وعند ما نوزع على بن أبى طالب أيام خلافته، ذمر الناس بهذا الحديث، فعن أبى الطفيل قال ": جمع على الناس فى الرحبة، ثم قال: أنشد بالله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خم ما قال لما قام، فقام إليه ثلاثون من الناس، قال أبو نعيم: فقام إليه ناس كثير، فشهدوا حين أخذ النبى صلى الله عليه وآله وسلم بيده فقال: أتعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه (" ۲)، وزاد فى رواية ": وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله (" ۳).

وقال فى الفتح الربانى ": قال السيوطى فى الأزهار المتناثرة فى الأحاديث المتواترة: حديث من كنت مولاه، أخرجه الترمذى عن زيد بن أرقم، والإمام أحمد عن على وأبى أيوب الأنصارى، والبزار عن عمرو ذى مر، وأبى هريرة، وطلحة، وعمار، وابن عباس، وبريدة، والطبرانى عن ابن عمر، ومالك بن الحويرث، وحبشى بن جنادة، وجرير، وسعد بن أبى وقاص، وأبى سعيد الخدرى، وأبو نعيم عن جندع الأنصارى، وقد خصص له الهيثمى سبع صفحات (" ۴).

وقال الحافظ الكتانى ": حديث من كنت مولاه فى رواية لأحمد أنه سمعه من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثون صحابيا، وشهدوا به لعلى لما نوزع أيام

---

(۱) قال ابن كثير: رواه ابن جرير، وقال الذهبى: هذا حديث حسن، وقال: وجدت ذلك فى نسخة مكتوبة عن ابن جرير، البداية: ۵ / ۲۱۳.

(۲) رواه أحمد، وقال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة، الزوائد:

۹ / ۱۰۴.

(۳) رواه البزار وابن جرير، وقال الهيثمى: رجاله ثقات، كنز العمال: ۱۳ / ۱۵۸، وصححه الألبانى، الصحيحة: ۵ / ۳۴۳.

(۴) الفتح الربانى: ۲۳ / ۱۲۸.

--- ... الصفحة ۵۵ ... ---

خلافته، وصرح المناوى بتواتره، وقال ابن حجر: حديث من كنت مولاه أخرجه الترمذى والنسائى، وهو كثير الطرق، وقد استوعبها ابن عقدة فى مؤلف مفرد، وأكثر أسانيدها صحيح أو حسن (" ۱).

وقال ابن كثير ": حديث من كنت مولاه رواه الإمام أحمد عن زيد بن أرقم، وقد رواه عن زيد بن أرقم جماعة ورواه معروف بن جرموز عن أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد، ورواه ابن ماجة من حديث حماد بن سلمة عن على بن زيد، ورواه عن عدى بن ثابت بن البراء، وعن أبى إسحاق عن البراء، ورواه عن سعد وطلحة بن عبد الله وجابر بن عبد الله، وله طرق عنه (" ۲).

وقال الألبانى ": حديث من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، حديث صحيح جاء من طرق جماعة من الصحابة، خرجت أحاديث سبعة منهم، ولبعضهم أكثر من طريق واحد، وقد خرجتها كلها، وتكلمت على أسانيدها فى سلسلة الأحاديث الصحيحة (" ۳).

ولما كنا قد قابلنا بعض الأحداث التى جرت فى عهد البعثة الخاتمة بمثيلاتها على عهد أنبياء بنى إسرائيل، ونحن نرصد منزلة هارون من موسى، فإننا نجد فى مقام التطهير والعلم ": وكلم الرب هارون قائلا: خمر ومسكر لا تشرب أنت وبنوك معك.. فرضا دهريا فى أجيالكم، وللتمييز بين المقدس والمحلل، وبين النجس والطاهر، ولتعليم بنى إسرائيل جميع الفرائض التى كلم الرب بها بيد موسى " (۴).

ولقد علمنا أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أدى المناسك، أعلن ولاية على بن أبى طالب، وفى مقابل هذا الحدث، نجد العهد القديم يذكر أنه فى اليوم الثامن من الشهر الذى تؤدى فيه المناسك، أمر موسى هارون أن يأخذ له

---

(۱) نظم المتناثر فى الحديث المتواتر، ص: ۱۹۵.

(۲) البداية والنهاية: ۵ / ۳۵۰.

(۳) كتاب السنة، ابن أبى عاصم، تحقيق نصر الدين الألبانى: ۲ / ۵۶۶.

(۴) سفر اللاويين: ۱۰ / ۸ - ۱۱.

--- ... الصفحة ۵۶ ... ---

عجلا ليذبحه فى اليوم الذى يفيض الله برحمته على العباد، وفعل هارون ما أمر به موسى "، ثم رفع هارون يده نحو الشعب وباركهم.. ودخل موسى وهارون خيمة الاجتماع ثم خرجا وباركا الشعب (" ۱).

إن الدعوة الإلهية للناس دعوة واحدة، والتوحيد هو عماد هذه الدعوة، والإخلاص فى العبادة يجعل شجرة التوحيد داخل النفس الإنسانية شجرة مورقة، لهذا كان الإخلاص فى العبادة أفضل الأمور الدينية ومن أوجب الواجبات الشرعية، ولكى يتحقق الإخلاص، فلا بد من حفظ الصلة بالله عز وجل، والمدخل إلى حفظ الصلة بالله هو حفظ الصلة بالرسول، لأن النور المحمدى هو البرزخ الذى بين الناس وبين النور الإلهى الذى تندك له الجبال، وحفظ الصلة بالرسول له قواعد وله علامات، وقديما قالت العرب:

إذا لم يكن صدر المجالس سيدا * فلا خير فيمن صدرته المجالس

ثالثا: الترغيب والترهيب

إن حفظ الصلة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم حثت عليه الدعوة الخاتمة فى أكثر من آية منها قوله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) [آل عمران: ۳۱]، والمعنى: إن كنتم تريدون أن تخلصوا لله فى عبوديتكم، فاتبعوا هذه الشريعة التى هى مبنية على الحب، والتى ترفع أعلام الإخلاص والإسلام، وتسير بأتباعها نحو صراط الله المستقيم، فإن اتبعتمونى فى سبيلى أحبكم الله، ومنها قوله تعالى: (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين) [يوسف: ۱۰۸]، والآية تشير

إلى سبيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفيها يأمره - تعالى - أن يخبر الناس أن هذه سبيله، أى طريقته ومسلكه وسنته، وأن هذا السبيل هو الذى يصل بمن يسلكه إلى سعادة الدارين، لأن النبى يدعو إلى الله على بصيرة ويقين وبرهان، وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها قوله تعالى: (قل لا أسألكم

---

(١) سفر اللاويين: ٩ / ٢٢ - ٢٤.

--- ... الصفحة ٥٧ ... ---

عليه أجرا إلا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور) [الشورى: ٢٣]، فى هذه الآية جعل الله - تعالى - أجر رسالة النبى المودة فى القربى، فأى قربى؟ إن مودة الأقرباء على الإطلاق ليست مما يندب إليه فى الإسلام، قال تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) [المجادلة: ٢٢]، والذى يندب إليه الإسلام هو الحب فى الله، وبما أن لكل شئ ذروة، فإن الحب فى الله ذروته حب النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ولهذا قيل: إن المراد بالمودة فى القربى، هو مودة قرابة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وهم عترته من أهل بيته، ومن يتأمل فى الروايات المتواترة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم، كحديث الثقلين وغيره، يجد أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم دفع الناس فى اتجاه أهل البيت لفهم كتاب الله بما فيه من أصول معارف الدين وفروعها وبيان حقائقه، وهذا لا يدع ريبا فى أن إيجاب مودتهم وجعلها أجرا للرسالة، إنما كان ذريعة إلى إرجاع الناس إلى أهل البيت، على اعتبار أن لهم المرجعية العلمية.

وروى عن ابن عباس أنه قال ": لما نزلت هذه الآية: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى) [الشورى: ٢٣]، قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم؟ قال: على وفاطمة وولداها (" ١)، وعن أبى الديلم قال ": لما جئ بعلى بن الحسين أسيرا، فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم، فقال له على بن الحسين: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أقرأت آل حم؟ قال:

نعم، قال: أما قرأت: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى)؟

قال: فإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم (" ٢).

---

(١) رواه الطبرانى، وقال الهيثمى: فيه جماعة ضعفاء وقد وثقوا، الزوائد: ٩ / ١٦٨، وأخرجه ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه.

(٢) أخرجه ابن جرير، والبغوى، تفسير البغوى: ٧ / ٣٦٤، والمقريزى، فضائل أهل البيت، ص: ٧٢.

--- ... الصفحة ٥٨ ... ---

ومما يثبت أن المقصود بذى القربى: على وفاطمة وولداها، تحذير النبى صلى الله عليه وآله وسلم من الاقتراب منهم بأذى، لأن من يؤذيهم يكون فى الحقيقة قد آذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويقع تحت عقوبة لا يدفعها دافع، قال تعالى: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) [الأحزاب: ٥٧]، ومن المعلوم أنه لا يوجد مخلوق يمكن أن يتسبب بأذى الله تعالى، ولكن الآية تتوعد كل من آذى النبى بشئ، لأن من آذاه فقد آذى الله، كما أن من أطاعه فقد أطاع الله.

وتحذيرات النبى صلى الله عليه وآله وسلم من الاقتراب بأى أذى لعترته، وردت فى أحاديث كثيرة، منها ما روى عن سعد بن أبى وقاص قال ": كنت جالسا فى المسجد أنا ورجلان معى، فنلنا من على، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضبان يعرف فى وجهه الغضب، فتعوذت بالله من غضبه، فقال: ما لكم وما لى؟ من آذى عليا فقد آذانى (" ١)، ومنها ما روى عن عمرو بن شاس الأسلمى، قال ": خرجت مع على إلى اليمن، فجفانى فى سفرى ذلك، حتى وجدت فى نفسى عليه، فلما قدمت أظهرت شكايته فى

المسجد، حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رآنى أبدى عينيه (أى: حدد إلى النظر)، حتى إذا جلست قال: يا عمرو، والله لقد آذيتنى، قلت: أعوذ بالله أن أؤذيك يا رسول الله، قال: بلى من آذى عليا فقد آذانى (" ۲)، ومنها ما روى عن المسور بن مخرمة قال: قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم ": إنما فاطمة بضعة منى يؤذينى ما آذاها (" ۳).

وبالجملة، إن الدعوة الإلهية الخاتمة بينت أن الإخلاص فى العبادة أفضل الأمور الدينية، ومن أوجب الواجبات الشرعية، وبينت أن حفظ الصلة

---

(۱) أخرجه الإمام أحمد، وقال الهيثمى: رجال أحمد ثقات، الزوائد: ۹ / ۱۲۹، الفتح الربانى:

۲۳ / ۱۲۰، ورواه الحاكم وصححه، المستدرك: ۳ / ۱۲۲، ورواه البزار، كشف الأستار:

۳ / ۲۰۰، ورواه ابن حبان فى صحيحه، الزوائد: ۹ / ۱۲۹، وابن كثير، البداية: ۷ / ۳۴۷.

(۲) رواه أبو يعلى، وقال الهيثمى: رجاله ثقات، الزوائد: ۹ / ۱۲۹، وابن كثير، البداية: ۷ / ۳۴۷.

(۳) رواه مسلم، الصحيح: ۳ / ۱۶، والبخارى بلفظ: فمن أغضبها أغضبنى، الصحيح: ۲ / ۳۰۲.

--- ... الصفحة ۵۹ ... ---

بالرسول هو صراط حفظ الصلة بالله فمن آذى الرسول فقد آذى الله، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله.

ولأن المنافقين فى كل عصر يعملون من أجل تدمير الدعوة من داخلها، فإن الدعوة الإلهية الخاتمة فتحت بين حركة النفاق وبين حركة الإيمان، لتصحيح الساحة بعد هذا الفتح من طرفين، لكل طرف أعلامه ومذاقه، لتسير القافلة وهى على بينة من أمرها، لينظر الله إلى عباده كيف يعملون، وهذا الفتح يرى بوضوح إذا تدبر الباحث فى الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها ما روى عن على بن أبى طالب أنه قال ": والذى خلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن لا يحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق (" ۱)، وما روى عن أبى ذر أنه قال ": قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى: يا على من فارقنى فارق الله، ومن فارقك يا على فارقنى (" ۲)، وما روى عن عبيد الله بن عباس قال ": نظر النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى على فقال: يا على، أنت سيد فى الدنيا، وسيد فى الآخرة، حبيبك حبيبى، وحبيبى حبيب الله، وعدوك عدوى، وعدوى عدو الله، الويل لمن أبغضك بعدى (" ۳).

وما روى عن أسرة عمار بن ياسر، فعن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن جده أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ": أوصى من آمن بى وصدقنى بولاية على بن أبى طالب، فمن تولاه فقد تولانى، ومن تولانى فقد تولى الله، ومن أحبه فقد أحبنى ومن أحبنى فقد أحب الله، ومن أبغضه فقد أبغضنى ومن أبغضنى فقد أبغض الله عز وجل (" ۴)، وعنه أيضا

---

(۱) رواه مسلم، الصحيح: ۲ / ۶۴، والترمذى، الجامع: ۵ / ۶۴۳، وأحمد، الفتح الربانى: ۲۳ / ۱۲۲.

(۲) رواه البزار، وقال الهيثمى: رجاله ثقات، كشف الأستار: ۳ / ۲۰۱، الزوائد: ۹ / ۱۳۵، والحاكم وصححه، المستدرك: ۳ / ۱۲۱.

(۳) رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأبو الأزهر بإجماعهم ثقة، وإذا تفرد الثقة بحديث فهو على أصلهم صحيح، والحديث سمعه يحيى بن معين من أبى الأزهر فصدقه، المستدرك: ۳ / ۱۲۸، ورواه ابن كثير، البداية: ۷ / ۳۵۶.

(۴) رواه الطبرانى فى الكبير، وابن عساكر، كنز العمال: ۱۱ / ۶۱۰.

--- ... الصفحة ۶۰ ... ---

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ": اللهم من آمن بى وصدقنى فليتول على بن أبى طالب، فإن ولايته ولايتى وولايتى ولاية الله (" ۱)، وقيل لسلمان الفارسى ": ما أشد حبك لعلى! قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من أحب عليا

فقد أحبنى، ومن أبغض عليا فقد أبغضنى (" ۲)، وقيل لعمار بن ياسر ": ما أشد حبك لعلى! فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عمار، إن رأيت عليا قد سلك واديا وسلك الناس واديا غيره، فاسلك مع على ودع الناس (" ۳).

وما روى عن أسرة أبى رافع، فعن محمد بن عبيد الله بن أبى رافع عن أبيه عن جده قال: قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: يا أبا رافع، سيكون بعدى قوم يقاتلون عليا، حق على الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، ومن لم يستطع بلسانه فبقلبه، ليس وراء ذلك شئ (" ۴)، وعن عمار بن ياسر قال:

"قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا على، ستقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحق، فمن لم ينصرك يومئذ فليس منى (" ۵)، وعمار راوى هذا الحديث، قاتل مع الإمام على، وقتل فى صفين، وكان النبى قد أخبر بقتله وهو يخبر بالغيب عن ربه جل وعلا، روى البخارى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ": ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، ويدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار (" ۶).

وبالجملة، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ": لا يبغضنا - أهل البيت - أحد إلا أدخله الله النار" (۷)، وعن أبى هريرة قال ": نظر

---

(۱) رواه الطبرانى فى الكبير، كنز العمال: ۱۱ / ۶۱۱.

(۲) رواه الحاكم، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، المستدرك: ۳ / ۱۳۰.

(۳) رواه الديلمى، كنز العمال: ۱۱ / ۶۱۴.

(۴) رواه الطبرانى، كنز العمال: ۱۱ / ۶۱۳، وقال الهيثمى: رواه الطبرانى وفيه محمد بن عبد الله وثقه ابن حبان، ويحيى بن الحسين لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، الزوائد: ۹ / ۱۳۴.

(۵) رواه ابن عساكر، كنز العمال: ۱۱ / ۶۱۳.

(۶) رواه البخارى، كتاب الصلاة، باب: التعاون فى بناء المساجد، ورواه أحمد، الفتح الربانى:

۲۲ / ۳۳۱.

(۷) رواه الحاكم، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، المستدرك: ۳ / ۱۵۰.

--- ... الصفحة ۶۱ ... ---

النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى على وابنيه وفاطمة، وقال: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم (" ۱).

ولأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم جعل الكتاب والعترة فى حبل واحد، وأخبر بالغيب عن ربه بأنهما لن ينفصلا حتى يردا على الحوض، ولأنه صلى الله عليه وآله وسلم حث الأمة فى أكثر من مكان بأن تتمسك بهذا الحبل لأنه واق لها من الضلال، وقال:

"فانظروا كيف تخلفونى فيهما، " فإنه أخبر بالغيب عن ربه بأن أهل بيته سيلقون بعده من الأمة قتلا وتشريدا، وكما حذر موسى عليه السلام بنى إسرائيل من الاختلاف فى الوقت الذى خبر فيه بأنهم سيختلفون وهو يخبر بالغيب عن ربه، كذلك فعل النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، كان يحذر من الاختلاف ويقول ": لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا (" ۲)، وفى الوقت نفسه يخبر بالغيب عن ربه ويقول ": إن بنى إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة فهلك سبعون فرقة، وخلصت فرقة واحدة، وإن أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، تهلك إحدى وسبعون وتخلص فرقة، قيل: يا رسول الله، من تلك الفرقة؟

قال: الجماعة الجماعة (" ۳).

لقد كان الإخبار بالغيب فى ما يستقبل الناس من أحداث، لطفا من الله، ليعلم - سبحانه - من يخافه بالغيب، فلا يأخذون بالأسباب التى حذر منها، ويأخذون بالأسباب التى فيها لله ولرسوله رضا، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم أمر الأمة بأن تأخذ بطرف الحبل الذى عليه الكتاب والعترة، ثم يخبر بالغيب عن ربه فيقول ": إن أهل بيتى سيلقون بعدى من أمتى قتلا وتشريدا (" ۴)، وعن

(۱) رواه الحاكم، وقال: حديث صحيح ولم يخرجاه، المستدرك: ۳ / ۱۴۹، وأحمد، الفتح الربانى: ۲۲ / ۱۰۶، والترمذى عن زيد بن أرقم، الجامع: ۵ / ۶۹۹، وابن ماجة والحاكم عن زيد، كنز: ۱۲ / ۹۶، والطبرانى وأحمد والحاكم عن أبى هريرة، كنز: ۱۲ / ۹۷، وابن أبى شيبة، وابن حبان فى صحيحه، والضياء بسند صحيح عن زيد، كنز: ۱۳ / ۶۴۰.

(۲) رواه البخارى، كنز العمال: ۱ / ۱۷۷.

(۳) رواه أحمد عن أنس وأبى هريرة، كنز: ۱ / ۲۱۰، والترمذى وصححه، الجامع: ۴ / ۲۵.

(۴) رواه الحاكم ونعيم بن حماد، كنز العمال: ۱۱ / ۱۶۹.

على بن أبى طالب أنه قال ": إن مما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الأمة ستغدر بك بعدى (" ۱)، وكل طريق له أسبابه، والله - تعالى - ينظر إلى عباده كيف يعملون.

ولأن الطريق عليه اختلاف وافتراق وغدر ونفى وقتل وتشريد، ظهرت النتيجة عند الحوض فى إخبار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالغيب عن ربه، فعن سهل قال ": سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا، وليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوننى، ثم يحال بينى وبينهم (" ۲)، وعن عبد الله قال ": قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا فرطكم على الحوض، ولأنازعن أقواما، ثم لأغلبن عليهم، فأقول: يا رب، أصحابى أصحابى، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك (" ۳)، وفى رواية عن أبى هريرة بزيادة ": إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى ("۴)، وفى رواية عن ابن عباس ": فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم (" ۵)، وفى رواية عن أم سلمة ": فنادانى مناد من بعدى، فقال: إنهم قد بدلوا من بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن بدل بعدى (" ۶).

لقد حذر النبى صلى الله عليه وآله وسلم من النتيجة التى لا تستقيم مع المقدمة، ولم تجامل الدعوة الإلهية الخاتمة أحدا بعد أن أقامت حجتها، يقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم ": ليردن على الحوض رجال ممن صحبنى ورآنى ("...) ۷)، ولم

(۱) رواه البيهقى، وقال ابن كثير: سنده صحيح، البداية: ۶ / ۲۱۸.

(۲) رواه البخارى، الصحيح: ۴ / ۱۴۱، ومسلم، الصحيح: ۱۵ / ۵۳، وأحمد، الفتح الربانى: ۱ / ۱۹۵.

(۳) رواه البخارى، الصحيح: ۴ / ۱۴۱، ومسلم، الصحيح: ۱۵ / ۲۹.

(۴) رواه البخارى، الصحيح: ۴ / ۱۴۲.

(۵) رواه البخارى، الصحيح: ۳ / ۱۶۰، مسلم، الصحيح: ۱۷ / ۱۹۴.

(۶) رواه أحمد، وقال فى الفتح: سنده جيد، الفتح الربانى: ۱ / ۱۹۷.

(۷) رواه مسلم، الصحيح: ۱ / ۱۹۵.

تغن عنهم الصحبة من الله شيئا، وقال ": إن من أصحابى من لا يرانى بعد أن أموت أبدا (" ۱)، ومعنى أن تعطى النتيجة قطع صلتهم بالنبى فى الآخرة، أنهم قطعوا الصلة يوم أن سارت القافلة تحت سقف الامتحان والابتلاء لينظر الله إلى عباده كيف يعملون، قال تعالى: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) [العنكبوت: ۲ - ۳].

وإذا كانت الدعوة الإلهية الخاتمة قد حذرت كل من يقترب من سبيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأى أذى، فإن الدعوة الإلهية إلى بنى إسرائيل حذرت كل من يقترب من هارون وبنيه بأذى، جاء فى العهد القديم أن الله كلم موسى عليه السلام، وأمره بأن يقدم سبط لاوى أمام هارون ليخدموه ويحفظوا شعائره، ويخدموا خيمة الاجتماع ويحرسوا أمتعتها، وقال له ": وتوكل هارون وبنيه فيحرسون كهنوتهم والأجنبى الذى يقترب يقتل (" ۲).

رابعا: رحيل النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم

لقد جاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالأدلة المقبولة، والمعجزات التى هى بلسان التواتر منقولة، وقد قال المسيح عليه السلام: من قبل ثمارهم تعرفونهم، وقد علم المخالف والموالف أن محمدا رسول الله لم تثمر شجرته عبادة غير الله ولم يشرك مع الله غيره، ولا جعل له ندا من خلقه ولا ولدا، ولا قال لأمته:

اعبدوا إلهين اثنين، ولا ثالث ثلاثة، ولا عبد رجلا ولا عجلا ولا كوكبا، بل دعا إلى ملة إبراهيم، إله واحد لا إله إلا هو، وأخلص لله وحده، ونزهه عن النقائص والآفات، وجاء بكتاب من عند الله أمر فيه بطاعة الله، نهى عن معصيته، وزهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وأمر ببر الوالدين، وصلة الرحم، وحفظ الجار، وفرض الصدقات،

---

(۱) رواه الحاكم والإمام أحمد، كنز العمال: ۱۱ / ۱۹۷، وابن عساكر، كنز: ۱۱ / ۲۷۱.

(۲) سفر العدد: ۳ / ۵ - ۱۰.

--- ... الصفحة ۶۴ ... ---

وأمر بالصوم والصلاة، وحث على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، ثم كسر الأصنام وعطل الأوثان، وأخمد النيران، وأعلن الأذان، فهذه هى ثمار النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى بعثه الله، والناس فى ظلمة الجهل والانحراف، فأنار الطريق وأقام الحجة، وبين منهجه للبشرية الطريق الذى يحقق السعادة فى الدنيا بما يوافق الكمال الأخروى، لأنه يمد الإنسان بالوقود الذى يميز به بين الحلال وبين الحرام، وينطلق بالانسان نحو الأهداف التى من أجلها خلقه الله بالوسائل التى له فيها رضا، ومن خلال المنهج الاسلامى يحفظ الإنسان صلته بالله ورسوله، لأن المنهج يقوم على أوامر الله، فهو - سبحانه - مصدر جميع السلطات، وإليه تنتهى جميع القرارات، لأنه - تعالى - مصدر الخلق والتكوين، وواهب الحياة ومقوماتها، فكما أن له - سبحانه - الخلق والإبداع، كذلك له الأمر والنهى.

وبعد أن أقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم الحجة، حانت الساعة التى يدعى فيها فيجيب، وعلى فراش المرض أخذ النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالأسباب حتى لا تختلف الأمة من بعده، وهو يعلم أن الاختلاف واقع لا محالة، ونظام العالم هو نظام الأسباب والمسببات، والانسان مطالب بأن يكون اعتماده على الله عند أخذه بالأسباب وفى كل حال، وعلى هذا سار الأنبياء والرسل عليهم السلام، كانوا يخبرون بالغيب عن الله بما يستقبل الناس من فتن وأهوال، ثم يأخذون بالأسباب فيحذرون الناس من مخاطر الطريق.

عن ابن عباس قال ": لما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوفاة، وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، فقال عمر: إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبى صلى الله عليه وآله وسلم كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قاله عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم، قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: قوموا "! فكان ابن عباس يقول ": إن الرزية كل الرزية، ما حال بين النبى صلى الله عليه وآله وسلم وبين

--- ... الصفحة ۶۵ ... ---

أن يكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولغطهم ("! ۱)، وفى رواية:

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم ": قوموا عنى، ولا ينبغى عندى التنازع (" ۲)، وروى عن جابر بن عبد الله ": إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتابا لا يضلون بعده، فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها (" ۳)، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! ثم جعل تسيل دموعه، حتى رئيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ": ائتونى بالكتف والدواة - أو اللوح والدواة - أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يهجر (" ۴).

قال ابن الأثير ": القائل هو عمر بن الخطاب (" ۵)، ومعنى هجر، قال فى لسان العرب ": يهجر هجرا، إذا كثر الكلام فى ما لا ينبغى، وهجر يهجر هجرا، بالفتح: إذا خلط فى كلامه، وإذا هذى (" ۶)، وقال فى المختار:

"الهجر: الهذيان (" ۷)، وقال فى المعجم ": هجر المريض هذى (" ۸).

لقد اختلفوا وأكثروا اللغط ولا ينبغى عند رسول الله التنازع، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) [الحجرات: ۲]، وقال جل شأنه: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) [النور: ۶۳]، وقال: (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا

---

(۱) رواه البخارى، باب: قول المريض: قوموا، الصحيح: ۴ / ۷، ومسلم، باب: ترك الوصية، الصحيح: ۵ / ۷۶، وأحمد، الفتح الربانى: ۲۲ / ۱۹۱.

(۲) رواه البخارى، كتاب العلم، الصحيح: ۱ / ۳۱.

(۳) رواه أحمد، الفتح الربانى: ۲۲ / ۲۲۵، وابن سعد، الطبقات: ۲ / ۲۴۳.

(۴) رواه مسلم، باب: ترك الوصية، الصحيح: ۵ / ۷۶.

(۵) لسان العرب، ص: ۴۶۱۸.

(۶) المصدر نفسه.

(۷) مختار الصحاح، ص: ۶۹۰.

(۸) المعجم الوسيط: ۲ / ۹۷۲.

--- ... الصفحة ۶۶ ... ---

لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) [الأنفال: ۲۴ - ۲۵].

ومن يتدبر فى أحداث يوم الصحيفة ويمسك بأطرافها، يجد أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يكتب لهم كتابا يكون سببا فى الأمن من الضلال، وهذا السبب كان كافيا لتنفيذ الأمر، ولكن بعض الذين حضروا قالوا:

"هجر، " فكانت هذه الكلمة كافية ليمسك الرسول عن كتابة الصحيفة، لأنها ربما تكون مدخلا لتشكيك البعض فى كل ما كتب من وصايا وعهود، ويترتب على ذلك فتن عديدة، ويشهد بذلك ما روى عن ابن عباس أنه قال ": قالوا:

إن النبى ليهجر، فقيل له: ألا نأتيك بما طلبت؟ قال: أو بعد ماذا ("؟! ۱)، وأمر الرسول إليهم بأن يأتوه بصحيفة ليكتب لهم الكتاب، هذا الأمر فى حد ذاته كاف لإقامة الحجة عليهم، وإن لم يأتوا إليه بالصحيفة، ومن المعلوم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد أقام الحجة على الأمة بالبلاغ فى حجة الوداع، وقبلها، وبعدها فى غدير خم.

وقد احتج البعض أن قولهم ": حسبنا كتاب الله، " يستند إلى أن الكتاب جامع لكل شئ، وقولهم هذا ينتج إشكالا، لأن الكتاب الجامع لكل شئ أمر بطاعة الرسول، وعلى الرغم من أن الكتاب جامع إلا أنه ليس فى استطاعة كل واحد أن يستخرج منه ما يريده على وجه

الصواب، لهذا فوض الله رسوله فى أن يبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم، ولأن الناس فى حاجة إلى السنة مع كون الكتاب جامعا، جعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عترته مع الكتاب فى حبل واحد ولن يفترقا حتى يردا عليه الحوض.

وبالجملة، لما كان الكتاب فيه آيات متشابهات، وهذه الآيات يتتبعها الذين فى قلوبهم زيغ لإثارة الفتن ولتأويل الكتاب، حتى ينتهى تأويلهم إلى

---

(۱) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ۲ / ۲۴۲.

--- ... الصفحة ۶۷ ... ---

تعطيل الحكم به، ولما كان الكتاب مع كونه جامعا لكل شئ لا يحقق دوام الهداية وعدم الاختلاف، بدليل أن الضلال والتفريق وقعا فعلا، فإن الأمن من الضلال لا يكون إلا بالكتاب، ومعه الطاهر الذى يتأوله. ويمكن للباحث أن يستنتج ذلك إذا ربط بين أمر رسول الله وهو على فراش المرض، وبين البلاغ الذى أقام به الحجة قبل ذلك، فيوم الصحيفة قال صلى الله عليه وآله وسلم ": آتونى بصحيفة ودواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا (" ۱)، وفى بلاغه، قال صلى الله عليه وآله وسلم ": إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما (" ۲).

---

(۱) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ۲ / ۲۴۲.

(۲) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن، الجامع: ۵ / ۶۶۳.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم

الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّـُبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹